وجوه إحسان يوسف عليه الصلاة والسلام في سورة يوسف

د. عبد الله بن عبد العزيز الحكمة آل حسين

- عضو هيئة التدريس في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته: «العدل في القرآن الكريم».
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته: «أنوار الحقائق الربانية في تفسير اللطائف القرآنية للأصفهاني من أول سورة الأنفال إلى آخر سورة يونس: دراسة وتحقيقًا».
- البريد الإلكتروني: alhekmah73@gmail.com

الملخص

موضوع البحث: دراسة وجوه إحسان يوسف عليه السلام كما وردت في سورة يوسف.

أهداف البحث: بيان ما نال يوسف عليه السلام من الفتن، وحاله تجاهها، ومقابلته لذلك بالصبر والإحسان.

منهج البحث: سلكت المنهج الاستقرائي التحليلي في هذا البحث.

أهم النتائج:

إبراز ما نال يوسف عليه السلام من المحن والشدائد، وقيامه بالصبر والإحسان في كل الأحوال من النعماء والضراء، وفي حال شبابه وعند كبر سنه، وأخذ العظة والعبرة من حياته المليئة بالأحداث وتقلب الأحوال، وثباته في ذلك كله، والدعوة إلى التأسي به ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام:٩٠].

التوصيات:

أوصي بالعناية بتدبر كتاب الله، واستنباط المعاني، والهدايات التي تشتمل عليها مفردات القرآن المجيد المبارك من خلال تتبعها والنظر في مواطن ورودها وسياقها، لكي نخرج باستنباطات دقيقة ومعاني ثرة عميقة. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الكلمات المفتاحية: إحسان، يوسف، فتن، صبر .

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

مشكلة البحث: حين تأملت في سورة يوسف عليه السلام وأمعنت النظر في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢]، لاحظت ما يلي:

١. كثرة ورود هذه المفردة ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ في هذه السورة.

٢. أنها وردت في سياق فتن متعددة مما يدعو للتدبر، وإبراز الهدايات القرآنية في ذلك.

٣. أن وجود هذه المفردة في خمسة مواضع من هذه السورة؛ يتبين به سبب كون يوسف عليه السلام من المحسنين فيحمله ذلك على الاستقامة على الإحسان في كل الأحوال من العسر واليسر، والمنشط والمكره وأثرة عليه كما كان حال يوسف عليه السلام فينال -بإذن الله- العز والتمكين، والرفعة والسؤدد، والدرجات العلى عند الله وعند خلقه: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٦].

ولهذا توجهت نحو دراسة ذلك، وأسأل الله أن يحقق لي ما فيه الخير، وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة وإخواني المسلمين.

أهمية الموضوع وأهدافه:

١. حين تكثر الفتن، وتتعدد صنوفها وألوانها من شهوات وشبهات يجد المسلم في مثل هذا التناول -بإذن الله- واعظًا يوقظ قلبه، ويحيي ضميره، ويعينه على كف نفسه عن الشهوات، والاستمساك بالحق، وعدم الوقوع في الفتن.

٢. هذه السورة الكريمة اشتملت على مقامات عالية ليوسف عليه السلام، ومواقف تجاه فتن كثيرة حقق فيها الصبر والتقوى فكان من المحسنين، فيجدر بالمسلم أن يتدبرها، ويجتهد في

تحصيلها.

٣. إذا كانت مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلوب صدأ الذنوب، ومجالسة أهل المروءات تدل على مكارم الأخلاق، ومجالسة أهل العلم تزكي النفوس، فكيف بتدبر سير الأنبياء الكرام عليهم السلام والنظر في أحوالهم وتعاملهم؟.

٤. أن هذه الدراسة تبرز المثل العليا، وتدعو إلى التأسّي بالقدوات الصالحة.

٥. أن في دراسة وجوه إحسان يوسف عليه السلام فوائد جمَّة، كتثبيت القلب، وتسلية النفس، والنظر في حسن عاقبة هؤلاء الأخيار، وما نالوه بصبرهم ويقينهم، وعدم يأسهم وقنوطهم.

حدود البحث: دراسة مفردة ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ واستنباط الدلالات من السياقات التي وردت فيها في سورة يوسف فحسب.

الدراسات السابقة: لم أقف على دراسة سابقة قامت بجمع ذلك وترتيبه وتناوله فيما اطلعت عليه من الأبحاث، ووقفت عليه من الدراسات.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة، وفيها أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، والتمهيد، وخطة البحث، والخطوات المتبعة فيه، وعنوانه.

المبحث الأول: وجوه إحسان يوسف عليه السلام، وفيه ستة أوجه:

الوجه الأول: إحسانه في توحيده وإخلاصه لرب العالمين.

الوجه الثاني: إحسانه في صبره وثباته، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: صبره وثباته في فتنة التعذيب.

المطلب الثاني: صبره وثباته في فتنة الشهوات.

المطلب الثالث: صبره وثباته في فتنة العلم.

المطلب الرابع: صبره وثباته في فتنة الرياسة والملك.

الوجه الثالث: تعامله وحسن خلقه، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تجنبه المواجهة بالسوء.

المطلب الثاني: مقابلة الإحسان بالإحسان.

المطلب الثالث: صفحه الجميل.

المطلب الرابع: كمال نصحه.

الوجه الرابع: شكره لربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

الوجه الخامس: بره وصلته.

الوجه السادس: دعاؤه ومناجاته.

المبحث الثاني: ثمرة إحسان يوسف عليه السلام، وحسن عاقبته في الدنيا والآخرة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حسن عاقبته في الدنيا.

المطلب الثاني: حسن عاقبته في الآخرة.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وقد رأيت أن يكون عنوان هذا البحث:

«وجوه إحسان يوسف عليه الصلاة والسلام في سورة يوسف»

منهج البحث وإجراءاته:

جريت في البحث على الخطوات التالية:

١. سلكت المنهج الاستقرائي التحليلي ومهدت بتمهيد بينت فيه معنى الإحسان، وبينت المواضع التي وردت فيها مفردة ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وأن المقصود بذلك الإحسان معناه العام الشامل.

٢. النظر في دلالة الإحسان بمفهومها العام كما سيأتي، وما يدخل تحت ذلك.

٣. قسمت ذلك إلى وجوه بحسب الموضوعات، وضممت كل نظير إلى نظيره، وجعلت تحت كل وجه ما يناسبه، ثم قمت بدراسة ذلك دراسة موضوعية، ولم أتعرض للجوانب التحليلية إلا ما رأيت الحاجة ملحّة إلى بيانه وإيضاحه كما هو الشأن في الدراسات

الموضوعية.

٤. اتبعت ما هو معتاد في إعداد الأبحاث العلمية من عزو الآيات، وتخريج الأحاديث من الكتب المعتمدة، وما كان منها في الصحيحين أو إحداهما أكتفي بتخريجه منهما، وإذا كان خارجهما فإني أتبع تخريجه بما تيسر من حكم بعض العلماء على الحديث. وغير ذلك كما هو متبع في منهجية البحث، وقد بذلت مزيدا من الجهد في اختصاره وترتيبه وإخراجه، فلله الحمد والمنة.

٥. بينت في الخاتمة بعض النتائج التي يسر الله لي بمنه وكرمه الوقوف عليها أثناء البحث.

هذا وأسأل الله -تعالى- أن يكون هذا البحث نافعًا لي، ولمن يطلع عليه من إخواني المسلمين، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم إنه بنا رؤوف رحيم.

التمهيد

معنى الإحسان:

الإحسان في اللغة: ضد الإساءة. وأحسن: فعل ما هو حسن، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧]، وأحسَن الشيء أجاد صنعه وأتقنه، قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧]، وأحسن إليه وبه: فعل ما هو حسن قال -جل ثناؤه-: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

فالإحسان إذًا يطلق ويراد به: الإنعام على الغير، وتقديم الخير، ويطلق ويراد به: إتقان الشيء قولًا كان أوفعلًا(١).

المواضع التي وردت فيها هذه المفردة ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

١. قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢].

٢. قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦].

٣. قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٦].

٤. قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٧٨].

٥. قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

فتبين أن يوسف عليه السلام كان في حال شبابه من المحسنين، وفي حال الفتنة بالضراء والسراء

---

(١) انظر في معنى الإحسان (حسن): تهذيب اللغة، للأزهري (٤/ ٣١٥)، والصحاح، للجوهري(٥/ ٢٠٩٩)، ومقاييس اللغة، لابن فارس (٢/ ٥٧)، ومفردات الراغب، (ص٢٣٦)، وأساس البلاغة، للزمخشري (١/ ١٩٠)، واللسان، لابن منظور (١٣/ ١١٧)، والمعجم الوسيط (١/ ١٧٤).

كان أيضًا من المحسنين في نفسه وقوله وفعله.

فحقق الإحسان الذي هو الإتقان والإجادة في العمل، والإحسان الذي بمعنى الإنعام وإيصال الخير إلى الغير، ولازم ذلك واستمر عليه. كما سيأتي بسط ذلك وبيانه في هذه الدراسة.

ويدل على ذلك ما يلي:

١. حذف المفعول لهذه المفردة ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ؛ لإفادة العموم، فلم يذكر الله له إحسانًا في جانب معين مما يدل على اطراده وشموله.

٢. التعبير بالفعل المضارع ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ﴾ يفيد التجدد والحدوث مما يدل على ملازمته للإحسان، وقد رآه على ذلك صاحباه وهو يعايش فتنة التعذيب، وكذلك رآه إخوته وهو يعايش فتنة الرياسة والسؤدد، ومع ذلك لم يتغير حاله، ولم يتبدل إحسانه، وهو في خضم هذه الفتن العصيبة، ففي غيرها من باب أولى.

٣. أن الله -تعالى- قال: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢]، والأشد: استكمال القوة وتناهي البأس وذلك ببلوغ ثماني عشرة سنة، وقيل: ثلاثين، وقيل: أربعين، وقيل: غير ذلك[(١)].

وختم الآية بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فيه بيان أن إحسانه هو سبب جزائه بهذه النعم، وأنه كان في شبابه محسنًا في عمله متقيًا ربه، وأن من كان بهذه المثابة فإن الله -تعالى- يَمنّ عليه كما منّ على يوسف عليه السلام[(٢)].

يقول الحسن البصري رحمه الله: «من أحسن عبادة الله في شبيبته لقاه الله الحكمة عند كبر سنه، وذلك قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص: ١٤]»[(٣)]. وإن كانت هذه الآية التي استشهد بها الحسن رحمه الله واردة في موسى عليه السلام

(١) انظر: تفسير ابن جرير (١٣/ ٦٦، ٦٧، ٦٨)، وابن عطية (٣/ ٢٣١)، والزمخشري (٣/ ٢٦٦)، وابن عاشور (١٢/ ٢٤٨).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) أخرجه الدينوري في المجالسة رقم: (٢٥٩٧)، (٦/ ٢٤٠).

فكذلك الحال بالنسبة لهذه الآية الواردة في يوسف عليه السلام.

فظهر بهذا أن يوسف كان محسنًا في حال شبابه، كما كان محسنًا حال كونه في السجن، وحال كونه في الرياسة والملك، وتلك هي مراحل حياته فلم يفارق الإحسان في شيء منها قط، ولهذا أنعم الله عليه بعظيم الجزاء وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة.

المبحث الأول :
وجوه إحسان يوسف عليه السلام

وفيه ستة أوجه:

الوجه الأول : إحسانه في توحيده وإخلاصه لرب العالمين

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يجازي عبده على عمله الصالح في الدنيا والآخرة، ولا يضيع أجر من أحسن عملًا، ومن أخلص لله فوحده وأفرده بالعبادة في كل شيء فإن من ثمرات ذلك أن الله يتولاه ويحفظه ويحوطه ويعصمه من شر نفسه، وكيد الشيطان، وكل سوء فضلًا منه تَبَارَكَ وَتَعَالَى وإحسانًا.

وقد بين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى حال يوسف عليه السلام تجاه توحيده لربه وإخلاص العمل له فقال جل ثناؤه: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧ – ٣٨].

فقوله: ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[(١)] بالفتح أي: الذين أخلصهم الله واصطفاهم، وبالكسر ﴿المخلِصين﴾ أي: الذين أخلصوا دينهم لله. فالله تعالى اجتباه واختاره ووفقه للإخلاص في اعتقاده وعمله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم[(٢)].

وفي الآية الثانية أوضح أنه لم يقع في الشرك مطلقًا حيث بين كفره بما يُعبد من دون الله ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ ثم أثبت أنه اتبع ملة آبائه أئمة التوحيد والاستقامة –عليه

---

(١) قرأ المكي والبصريان والشامي بكسر اللام، والباقون بفتحها. انظر: المبسوط (ص٢٠٩)، والغاية (ص١٧٩)، كلاهما للأصبهاني ثم النيسابوري، والبدور الزاهرة، لعبد الفتاح القاضي (ص١٦٢)، وانظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع، لمكي (٢/ ٩، ١٠).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير (١٣/ ١٠٠، ١٠١)، والبسيط، للواحدي (١٢/ ٧٨)، وتفسير القرطبي (١١/ ٣١٨)، والسعدي (٢/ ٤٠٩)، وابن عاشور (٢/ ٢٥٥).

وعليهم السلام-: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ وهكذا يكون الاستمساك بالعروة الوثقى ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦]. ثم أكد ذلك بقوله: ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ ففي هذا بيان انتفاء الشرك عنه كله صغيره وكبيره قليله وكثيره حيث قوله: ﴿مِن شَىْءٍ﴾ نكرة في سياق النفي فتفيد العموم، فانظر -رحمك الله- إلى كمال تحقيقه لأعظم حقوق الله على العباد وكيف انتفى عنه ما يضاده من الشرك بالله، وعدم الإخلاص له كمال الانتفاء حتى إنه لم يقع في شيء منه قط، فلذلك رفعه الله في الدنيا والآخرة، وصرف عنه السوء والفحشاء، وتولاه وحفظه من الفتن التي وقعت له، والخطوب التي ادلهمّت عليه، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

وفي هذا دليل على أن يوسف عليه السلام لم يذنب أصلًا في هذه القصة؛ لأنه كان مخلصًا لله حق الإخلاص حيث كان يعبد الله لا يشرك به شيئًا، ولذا لم يذكر الله عن يوسف توبة في قصته مع امرأة العزيز؛ لأنه تعالى عصمه بإخلاصه الدين له سبحانه فصرف عنه السوء والفحشاء ففي هذا تنزيه وتبرئة له مما يُذكر عنه من السوء.

وقد شهد ببراءته امرأة العزيز، والنسوة اللاتي قطعن أيديهن حيث لم يمكنهنّ إلا قول الحق: ﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ [يوسف: ٥١]. وقالت امرأة العزيز: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف:٥١] (١). وأما قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤]، فإما ألا يكون وقع منه همّ أصلًا (٢)، أو أن يكون الهمّ همّ خطرات تركه لله وليس همّ عزم وتصميم كما قال ﷺ: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيّن ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له**

(١) انظر: تفسير شيخ الإسلام، جمع إياد القيسي (٤/ ٣٤، ٣٦)، وبدائع التفسير، لابن القيم (٢/ ٤٤٦) بتصرف. وانظر للمزيد في مسألة براءة يوسف عليه السلام وتعدد الشهود على ذلك: تفسير الرازي (٩/ ١١٧-١٢٠)، وأضواء البيان، للشنقيطي (٣/ ٥٦-٦٢).

(٢) وممن رجحه أبو حيان في البحر (٥/ ٢٩٥)، والشنقيطي في أضواء البيان (٣٠/ ٦٠، ٦٢)، وابن عاشور في التحرير والتنوير (١٢/ ٢٢٣).

عنده حسنة كاملة، فإن هو همّ بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة»[(١)]، وفي لفظ عند مسلم: «**إنه تركها من جَرَّاي**»، فلم يصدر منه إلا حسنة يثاب عليها وهذا ما عليه الجمهور[(٢)].

فتبين أن الإخلاص يمنع من تسلط الشيطان، وإنما يبتلى به أهل الإعراض عن الإخلاص فامرأة العزيز كانت مشركة فوقعت مع تزوجها فيما وقعت فيه من السوء، ويوسف مع عزوبته ومراودتها له، واستعانتها عليه بالنسوة، وعقوبتها له بالحبس على العفة عصمه الله بإخلاصه له سبحانه تحقيقًا لقوله: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [سورة ص: ٨٢ – ٨٣][(٣)].

فالحمد لله أن جعلنا بفضله مسلمين، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده المخلصين برحمته وهو أرحم الراحمين.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو بسيئة، (٥/ ٢٣٨٠)، رقم (٦١٢٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، (١/ ١١٧)، رقم (١٢٩، ١٣١).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير (١٣/ ٨٠ – ٨٧)، والبسيط، للواحدي (١٢/ ٧٧)، وتفسير القرطبي (١١/ ٣١٢)، وابن عاشور (١٢/ ٢٥٣)، ورجحه شيخ الإسلام (٤/ ٣٥)، وابن القيم (٢/ ٤٤٦) كما في الصفحة السابقة، ورجحته كذلك اللجنة اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية (٤/ ٢٣٧).

(٣) تفسير شيخ الإسلام، جمع إياد القيسي (٤/ ٣٦، ٣٧) بتصرف.

الوجه الثاني: إحسانه في صبره وثباته

من سنن الله تعالى أن الامتحان والابتلاء قد يكون سببًا من أسباب التمكين والرفعة في الدنيا والآخرة، وذلك أن الإنسان إذا صبر في فتنة الضراء وفتنة السراء فاز بعز الدارين؛ لأنه نال من الله معيته كما قال سبحانه: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦]. وحاز عظيم الأجر والثواب كما قال -جل ثناؤه-: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر:١٠].

ولا ينال أحد من جسيم الخير من نبي ولا غيره إلا بالصبر، ولذا أمر الله عباده المؤمنين بالصبر والمصابرة فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠]، ومن صبر فما أقل ما يصبر، ومن جزع فما أقل ما يتمتع، إنما هي أيام قلائل ثم إلى الله المصير.

ويوسف عليه السلام قد ابتلي بفتنة الضراء والسراء فضلًا من الله وإحسانًا لينال درجة الصابرين، ودرجة الشاكرين، ويحوز ثواب ذلك كله.

وقد تعرّض عليه السلام لصنوف من الفتن وألوان من الكيد والبلاء منذ نعومة أظفاره إلى أن حقق الله له التمكين في الأرض، فكان صابرًا شاكرًا فنال الزلفى عند الله والعاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة، ويمكن إجمال ما وقع له من الكيد والفتن في المطالب التالية:

المطلب الأول: فتنة التعذيب

يتبين إجمال ما وقع له عليه السلام من التعذيب في الجوانب التالية:

الأول: أن إخوته كادوا له حيث احتالوا على أبيهم في التفريق بينه وبينه، فكذبوا على أبيهم وأخذوا يوسف عليه السلام وأجمعوا أن يلقوه في البئر، وبِيع بيع العبد بثمن بخس دراهم معدودة[(١)]، قليلة الوزن والعدد، محدودة القيمة، ولا رغبة لهم به؛ لأن إخوته لم يعلموا

---

(١) اختلف في الذين باعوه فقيل: هم إخوته، وقيل: السيارة الذين استخرجوه من البئر، والقول الأول هو قول ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والضحاك، ورجحه ابن جرير، وابن عطية، وابن كثير، وذكر السمرقندي: أنه قول عامة المفسرين، ونسبه ابن الجوزي أيضًا للأكثرين، ورجح القول الثاني أبو حيان، وابن عاشور. والقول الثاني هو الأقرب؛ لأن السياق في الكلام عن السيارة، وإخوة يوسف عليه السلام كانوا حريصين على التخلص منه لا زاهدين فيه فحسب.
انظر: تفسير ابن جرير (١٣/ ٥٣)، والسمرقندي (٢/ ١٥٥)، وابن الجوزي (٤/ ١٩٦)، وابن عطية ٣/ ٢٣٠، وأبي حيان (٥/ ٢٩١)، وابن عاشور (١٢/ ٢٤٤).

كرامته على الله ولا عرفوا منزلته عنده -جل ثناؤه-، ولا بما سيؤول إليه أمره، وقد كان همهم وهدفهم أن يحولوا بينه وبين والده، ويقطعوه عن القرب منه؛ لتكون المنافع الموجّهة إلى يوسف عليه السلام دونهم مصروفة إليهم، ويخلُ لهم وجه أبيهم فإنه قد اشتغل به عنهم، ثم يتوبون بعد ذلك من ذنبهم الذي ارتكبوه في حقه، وهكذا يمنّي الشيطان للعبد، ويسوّف له حتى يقع في حبائله[(١)]، فحصل له فراق أهله ووطنه وهو حدث، ووقع له الاسترقاق بعد السيادة والإكرام فنال ألم ذلك كله فصبَر، ولم يذكر الله تعالى عنه أنه أبدى شكوى أو تضجرًا مع أن هذا الظلم والعدوان الذي وقع عليه من أقاربه وذوي رحمه أشد على النفس وأنكى وأعظم أثرًا وأعمق جرحًا من ظلم غيرهم.

الثاني: عذب بالسجن عدوانًا وظلمًا ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ [يوسف: ٣٥]، ومما يدل على عظيم موقع السجن وشدة ألمه -خاصة على ذوي الأقدار- مقابلتها له بالعذاب الأليم: ﴿قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٢٥]، وكان ذلك بعد ظهور الأدلة الدالة على براءته ورؤيتها، وما أشد وقع العقاب إذا كان ظلمًا؟!، فكيف إذا كان بعد وضوح الآيات والدلائل على ظهور براءته ونزاهته؟!، ومكث في السجن بضع[(٢)] سنين بغير حق كل ذلك وهو صابر محتسب[(٣)].

الثالث: تحمله في سبيل إظهار براءته، ذلك أن يوسف عليه السلام على طول ما لبث في السجن تحمل زيادة وقت في السجن في سبيل إظهار براءته يقول نبينا عليه الصلاة والسلام: «....**ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي**»[(٤)]، وذلك لما طلبه الملك: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير (١٣/ ١٩، ٦٠).

(٢) قال الواحدي في البسيط (١٢/ ١٢٥): «وعامة المفسرين على أن المراد بالبضع هاهنا سبع» أي المقصود في الآية، وانظر: تفسير ابن جرير (١٣/ ١٧٥، ١٧٦)، والسمرقندي (٢/ ١٦٣)، والبغوي (٤/ ٢٤٤)، وابن عطية (٣/ ٢٤٧).
وقد حدده من الثلاث إلى التسع مجاهد، وقتادة، وجرى عليه أكثر العلماء. وقيل: ما بين ثلاث إلى عشر. وقيل: غير ذلك. انظر: تفسير ابن جرير (١٣/ ١٧٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٥٠)، ومعاني القرآن، للزجاج (٣/ ١١٢)، وتهذيب اللغة، للأزهري، والصحاح، للجوهري، ومفردات الراغب (بَضَع).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير (١٣/ ١٠٣، ١٤٧)، والبسيط، للواحدي (١٢/ ١٠٨)، وأبي حيان (٥/ ٢٩٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٦٤- كتاب الأنبياء، باب قوله عزوجل: ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الحجر: ٥١]=

ٱئْتُونِي بِهِۦٓ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [يوسف: ٥٠ – ٥١].

فلما أعلنت طهارته وبعده مما نسب إليه من النسوة وامرأة العزيز خرج وافر الحرمة والكرامة، لا يستطيع أحد بعد ذلك أن يغضّ منه، أو ينسب إليه مكروهًا. وهكذا يبذل الكرماء وكبراء النفوس الجهد في سبيل تجلية الحقائق والبعد عن الشوائب، ويستعذبون الألم والمشاق في ذات الله والاستجابة لأمره: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣٣]، فانظر إلى عظيم هذا الصبر والثبات والفضل وعلو القدر والمكانة، حقًّا إنه «الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام»[(١)].

وقد سئل رسول الله ﷺ من أكرم الناس؟ قال: «**أتقاهم**»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «**فأكرم الناس نبي الله، ابن نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله**»[(٢)] يعني يوسف عليه السلام.

المطلب الثاني: فتنة الشهوات

ابتلي يوسف عليه السلام بمراودة امرأة العزيز وكيدها له، فامتنع أشد الامتناع وكان إذ ذاك شابًّا عزبًا غريبًا عن أهله ووطنه وخاليًا لا يخاف مخلوقًا، والمرأة هي المراودة له، وهي في محل سلطانها وبيتها وهو في صورة المملوك، ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾

=وقوله: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]، رقم (٣١٩٢)، (٣/ ١٢٣٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، رقم (١٥١)، (١/ ١٣٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾ [البقرة: ١٣٣]، رقم (٣٢٠٢)، (٣/ ١٢٣٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ [يوسف: ٧]، رقم (٣٢٠٣)، (٣/ ١٢٣٨).

[يوسف:٢٣]، وأتته بالرغبة والرهبة والإصرار وتوعدته بالسجن والصّغار ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]، واستعانت عليه بالنسوة ومع ذلك كله عفّ لله ولم يطعها، وأعرض عن السوء والفحشاء، واختار السجن على ما يدعونه إليه مع ما فيه من الألم وضيق النفس، وصار محبوبًا إليه لما فيه من تحقيق مرضاة الله، والتباعد عن محارمه، وسأل ربه العصمة والنجاة، وأخبر عن ضعفه وعجزه ليتداركه الله برحمته ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، كل ذلك خوفًا من الله ورجاء لثوابه، ولعلمه بأن الله يراه لا لعلم مخلوق، أو خوف عقابه[(١)]، فسبحان من عصمه بلطفه وهو اللطيف لما يشاء، وما أعظم بركة التقوى، وما أحسن أثر الإخلاص في حفظ العبد ووقايته ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٥]، فتبين أنه لا بد من التقوى بفعل المأمور، والصبر على المقدور كما فعل يوسف عليه السلام فإنه اتقى الله بالعفة عن الفاحشة، وصبر على أذاهن بالمراودة، وتحمل الأذى والسجن في ذات الله على المعصية، واستعان بالله ولجأ إليه حتى يثبته، وتوكل على الله أن يصرف عنه كيدهن، ومن فعل ذلك سلّمه الله وعافاه بمنه وكرمه، وصرف عنه السوء كما صرف -تعالى- عنه كيدهن، وكانت العاقبة الحميدة له في الدنيا والآخرة[(٢)] -بإذن الله-.

المطلب الثالث: فتنة العلم

امتن الله -تعالى- على يوسف عليه السلام بالعلم لما كان محسنًا ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢][(٣)]، ولاريب أن العلم سبب من أسباب رفعة الدرجات لمن أراد به الله والدار الآخرة كما قال عز وجل: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]، لكن قد ينحرف طالب العلم عن القصد السوي، فيغترّ بما

(١) انظر: تفسير شيخ الإسلام جمع: إياد القيسي (٤/ ٤٠، ٤٦) ، وروضة المحبين، لابن القيم (ص٢٩٧)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (١٢/ ٢٦٤).

(٢) انظر: تفسير شيخ الإسلام، جمع: إياد القيسي (٤/ ٤٠).

(٣) انظر: ما تقدم في التمهيد.

علم، أو يقع في المباهاة، ومماراة السفهاء، أو الطمع في إقبال وجوه الناس إليه، أو غير ذلك من الأغراض المذمومة فيكون وبالًا على صاحبه نسأل الله العافية والسلامة.

لكن ما أوتي يوسف عليه السلام من العلم كان سببًا في تحقيقه للإحسان، وإيصال الخير إلى الآخرين، ودعوتهم إلى الحق: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾ [يوسف: ٣٩ – ٤٠]، وتولي مصالحهم على سنن الحكمة وقانون العدل: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف:٥٥]، وحقق له أيضًا –بإذن الله– الصبر على المحن والثبات في الفتن، وتحمل الأذى، والتواضع لله والشكر له؛ ولذا تراه يُسند ذلك إلى الذي امتن به عليه ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٣٧]، وكذلك قوله: ﴿وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١].

وهكذا يجب أن يكون طالب العلم مُتحلِّيًا بهذه الشمائل والأخلاق من العمل بالعلم، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه.

المطلب الرابع: فتنة الرياسة والملك

حب تولي شؤون الناس، والتصرف فيها، وسياستها أمر مغروس في الفطر، ويحرص عليه كثير من الناس، ويرغب فيه حتى ولو أدى ذلك إلى المخاطرة بنفسه؛ لما فيه من تحصيل الجاه، ونفاذ الكلمة، وتحقيق المصالح.

ولذا كان من سبل الشيطان في إغواء آدم أن أطمعه في الملك والسؤدد، ووعده بذلك وأقسم له، فغرّه وخدعه حتى أكل من الشجرة هو وزوجه: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]. ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠ – ٢١].

فالتطلع إلى الولاية والتنافس عليها أمر جبلِّي، ولكن لـمّـا كانت مظنة التعثر في الفتن ومهبط رؤية النفس والإعجاب بها، وغمط الآخرين وازدرائهم، وظلمهم والعدوان عليهم إلا من رحم الله وعصم، جاء النهي عن طلبها والحرص عليها ومنع من سألها منها؛ لأنه

يفقد عون الله له عليها وتسديده؛ فيقع في العجز والخذلان يقول ﷺ: «**يا عبد الرحمن بن سمرة لاتسأل الإمارة، فإن أُعطيتها عن مسألة وُكِلت إليها**[(١)]**، وإن أُعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها...**»[(٢)]، ولما جاءه عليه الصلاة والسلام رجلان يسألانه ذلك قال: «**إنا لا نولِّي هذا الأمر أحدًا سأله، ولا أحدًا حرص عليه**»[(٣)].

وهكذا جاء الإسلام بالنهي عن سؤال الإمارة؛ لأنه بطلبه للإمارة تُسلم إليه، ويخلو المقام من معونة الله عليها فيقع الزلل والخلل، وفي حرصه عليها، وسؤاله لها دليل على عدم اكتراثه بالقيام بأعباء هذه المهمة العظيمة، وعدم حذره من التقصير فيها مع عظيم أمرها وخطورة موقفها.

لكن يوسف عليه السلام سأل الولاية ﴿ **قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ** ﴾ [يوسف: ٥٥]، مع ما فيها من الخطورة، وبيّن وجه استحقاقه لها حيث توفرت فيه صفتا الحفظ والعلم اللتان تؤهلان لإدارة الشؤون المالية على أكمل وجه، ولا يوجد من يقوم مقامه في إيصال الحقوق، وإقامة القسط بين الناس، ورفع الظلم عنهم؛ ولأن ذلك طريق إلى دعوتهم إلى الله، وفعل الخير وترغيبًا لهم في الدخول في ملته؛ لأنهم كانوا مشركين[(٤)].

ولهذا كانت ولاية يوسف عليه السلام رحمة وإحسانًا، وسلامة من الفتنة لما كانت مبنية على غايات نبيلة، ومقاصد شريفة، قائمة على القسط بين الناس، والإحسان إليهم.

فحري بكل من ولاه الله ولاية من ولايات المسلمين أن يسلك هذه السبل الشريفة في ولايته، وأن يتقي الله فيها لكي يسلم من الفتنة والله من المستعان.

---

(١) «وُكِلت إليها» بضم الواو وكسر الكاف مخففة: أي أُسلمت إليها ولم يكن معك إعانة من الله عليها، بخلاف ما إذا حصلت لك الإمارة عن غير مسألة. انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (١٢/ ٤٤٨)، وفتح الباري، لابن حجر (١٣/ ١٣٣)، وتحفة الأحوذي، للمباركفوري (٥/ ١٢٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٦١٣)، رقم (٦٧٢٨)، ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٥٦)، رقم (١٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٦١٤)، رقم (٦٧٣)، ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٥٦)، رقم (١٤).

(٤) انظر: تفسير ابن عطية (٩/ ٣٢٤،٣٢٥)، والقرطبي (٩/ ٢١٦)، وتفسير شيخ الإسلام، جمع: إياد القيسي (٤/ ٣٧، ٥٥، ٥٦)، والشوكاني (٣/ ٣٥)، والسعدي (٢/ ٤٢٢)، وابن عاشور (١٣/ ٨، ٩)، وانظر: الأحكام السلطانية، للماوردي (١٤٣، ١٤٤)، وفتح الباري، لابن حجر (١٣/ ١٣٥).

الوجه الثالث: تعامله وحسن خلقه

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تجنبه المواجهة بالسوء

التعايش مع الناس بحسن المعاملة، والأخلاق الفاضلة، وغض الطرف، وستر المعايب، والصفح عن المذنب، ومقابلة السيئة بالحسنة شرف كبير، ومنزلة عالية، ومقام سام لا تبلغه إلا النفوس الكبار التي تبذل ذلك من غير رغبة ولا رهبة، وإنما تتطلع إلى الله والدار الآخرة، وبذلك تسمو منازلهم، ويرتفع شأنهم، وتخلد آثارهم عند الله وعند الخلق. وحسبك أن تحقيق الإنسان للأخلاق الفاضلة تجاه خالقه ورازقه، وتجاه نفسه، وتجاه الآخرين هو جماع الدين كله؛ ولهذا يقول ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[(١)].

وها هو يوسف عليه السلام في هذه القصة قد ضرب أروع الأمثلة، وأسماها في هذا المقام، فسبحان من وفقه لذلك، وأعانه على تحقيقه، ويتجلى ذلك في جوانب عدة منها:

الجانب الأول: ستره وعدم مبادرته بأنها أرادت منه السوء:

المتدبر لحال يوسف مع امرأة العزيز حين راودته عن نفسه، وعصمه الله من السوء، وولَّى هاربًا فرارًا من المنكر، وتخلصًا من البلاء، ووجدا زوجها عند الباب، يرى أنه لم يبادر العزيز ببيان ما اقترفته امرأته من مراودته عن نفسه وإرادة السوء، بل هي التي بادرت باتهامه، وإلقاء اللائمة عليه، وأما هو فإنه أعرض عن ذلك ولم يُبدِ منه شيئًا في أول الأمر، ولكن حين ادعت عليه ذلك زورًا وبهتانًا أخبر بحقيقة الأمر كما قال -جل ذكره-: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ

---

(١) أخرجه الإمام مالك في موطئه، كتاب: حسن الخلق، باب ما جاء في حسن الخلق، رقم(٨)، (٢/ ٩٠٤)، والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٣٨١)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩٢)، والحاكم في مستدركه، كتاب آيات رسول الله ﷺ التي (هي) دلائل النبوة (٢/ ٦١٣)، وقال: «صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٥): «رجاله رجال الصحيح»، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم(٤٥)، (١/ ٧٥). هذا واللفظ المذكور هو الوارد في أكثر المراجع، وفي بعضها جاء على اللفظ المشهور «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [يوسف: ٢٣ – ٢٥]، فلم يمكنه حينئذٍ إلا بيان الحقيقة، وتبرئة نفسه مما اتهم به ظلمًا وعدوانًا، فدفعته الحاجة إلى نفي مقالة السوء عن نفسه، حفاظًا على طهارة عرضه الشريف من الدنس، فلم يسبق عليه السلام إلى القول والشكوى سترًا عليها: ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِي﴾ [يوسف: ٢٦]، فأظهر الأمر وأعلن الحقيقة وردّ بهتانها[(١)].

وهكذا يكون حال المؤمن تجاه مثل هذه الأمور، الإعراض عنها، وصيانة اللسان عن التحدث بها، وعدم إشاعتها إلا لضرورة أو حاجة ملحة يقول ﷺ «**ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء**»[(٢)].

الجانب الثاني: إضماره لمقالته في نفسه:

قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ٧٧]، أي: إن يسرق بنيامين شقيق يوسف الصواع ﴿فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ [يوسف: ٧٧]، يعنون يوسف عليه السلام وذلك أنه على ما قيل: كان يأخذ الطعام من مائدة أبيه سرًّا فيتصدق به. وقيل: إنه أخذ صنمًا لجده أبي أمه فكسره، وألقاه على الطريق. وهو في هذا كله وغيره مما قيل لايعتبر سارقًا في الحقيقة ولكنه أتى ما يشبه السرقة فوصفوه بالسرقة عند الغضب، والسعي لإزالة المعرة، والعار عنهم[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير (١٣/ ١٠٤)، والبسيط للواحدي (١٢/ ٨٠)، وتفسير الرازي (٩/ ١٢٥)، وأبي حيان (٥/ ٢٩٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٧/ ٦٠)، رقم (٣٩٤٨)، والترمذي في سننه، أبواب البر والصلة، باب ماجاء في اللعنة (٤/ ٣٠٨)، رقم (١٩٧٧)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وأخرجه أيضًا الحاكم في مستدركه (١/ ١٢)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين». وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ١٧٩)، رقم(١٦١٠): «صحيح».

(٣) انظر: جامع البيان، للطبري (١٣/ ٢٧٢، ٢٧٣)، والبسيط، للواحدي (١٢/ ١٩٣، ١٩٤)، ومفاتيح الغيب، للرازي (٩/ ١٨٩)، والبحر المحيط، لأبي حيان (٥/ ٣٢٩).

وفي هذا نجد يوسف عليه السلام حين واجهه إخوته بقولهم: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ٧٧]، وهو يعلم أنهم يَعنونه لم يقابلهم بما يكرهون بل أضمر مقالته في نفسه: ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ٧٧]، مع أنهم قد نالوا منه نيلًا شنيعًا حيث جعلوا أخاه بنيامين متأسّيًا به في السرقة، أي: إن كان سرق فإنه لم يكن وقوع السرقة منه بِدعًا ولا أمرًا مستبعدًا؛ لحدوث ذلك من أخيه يوسف عليه السلام قبله.

وفي هذا من الإنحاء على يوسف عليه السلام وأخيه، والذم ما هو ظاهر الشناعة والقبح ومع ذلك كتم مقالته تكرّمًا، وبعدًا عن مقابلتهم بما يسوؤهم(١).

وتأمل ما كان منهم تجاهه من قبل من إقدامهم على أخذه من أبيه، والتفريق بينه وبينه، وإلقائه في الجب، وبيعه بيع العبد، واسترقاقه، ومع ذلك: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ٧٧]، فما أكبرها من نفوس، وما أجلها من مواقف، وما أعظم احتمال النفوس الأبية الشريفة، فسبحان ربنا العزيز الوهاب.

الجانب الثالث: عدم تصريحه بكيد إخوته:

لما آتى الله -تعالى- يوسف عليه السلام الملك ومكّن له في الأرض، وحقق له الرؤيا التي رآها: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف:٤]. استشعر يوسف عليه السلام حين أتاه أهله أجمعين عظم إنعام الله عليه ولطفه به، فعدد نعم الله عليه إلا أنه لم يصرح بالكيد الذي وقع له من إخوته مع فظاعته وشدة وقعه على النفس، وحصل له بسببه بلاء وفتن كثيرة فقال: ﴿وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ﴾ [يوسف: ١٠٠] أي: بإيقاع الحسد والإفساد بيني وبينهم(٢)، فنسب ذلك إلى من كان سببًا فيه وهو الشيطان، وضرب عنه صفحًا، وأغضى عمّن باشر معه ذلك ولم يصرّح بشيء مما حدث ولا ما ترتب عليه، وستر عليهم بعد الذي كان منهم، ولم يباشرهم بما يؤلمهم، ويجرح مشاعرهم.

---

(١) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان (٥/ ٣٢٩).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير (١٣/ ٣٦٣)، والبسيط، للواحدي (١٢/ ٢١٣)، وتفسير القرطبي (١١/ ٤٦٠).

الجانب الرابع: إبهامه في تعبير الرؤيا

حين عبر يوسف عليه السلام الرؤيا لصاحبي السجن وكانت الرؤيا الأولى تدل على أن صاحبها سيخرج من السجن ويسقى سيده خمرًا، والأخرى تدل على هلاك صاحبها، وأنه لا يُقبر، ولا يُستر عن الطيور، بل يُصلب وتأكل الطير منه، وكان الأمر بالنسبة للأخير شاقًّا وصعبًا إذ بذلك زوال حياته على حال غير محمودة لم يواجه صاحبها بما يكره، فجاء بالتأويل في عبارة مجملة؛ لأن في تأويلها ما يسوء صاحبها لتلقِّيه ما يؤلمه. فلئلا يفجأه الأمر أبهم التأويل وإلا فإنه بعد التأمل سيعلم حاله، وأنه هو الذي يصلب وتأكل الطير من رأسه لظهور دلالة ألفاظ الرؤيا على ذلك[(١)]، فتدبر ذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ [يوسف:٤١]. فما أحسن هذا الأدب وما أجمل هذا الخلق، وما أحوجنا إلى سلوك هذا الأسلوب، والسير عليه.

المطلب الثاني: مقابلة الإحسان بالإحسان

مقابلة الإحسان بالإحسان من شيم النفوس الكريمة، وأخلاقها الحميدة، ولذا نرى أن يوسف عليه السلام حين ذكر أسباب امتناعه عن الاستجابة لمراودة امرأة العزيز جعل منها مقابلة الإحسان بالإحسان: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

فاعتصم بالله الذي لا عاصم سواه أوّلًا، ثم ذكر أن طيب المقام والإكرام لا يقابل بالخيانة والإجرام فقال: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾ وأكثر المفسرين على أن المراد بـ﴿رَبِّيٓ﴾ هاهنا الزوج؛ لأنه كان سيدًا له، ويطلق على السيد المطاع ربًّا[(٢)]، وذلك أنه اشتراه ووجّه إلى

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير (١٣/ ١٦٦)، والرازي (٩/ ١٤٦)، وابن عاشور (١٢/ ٢٧٧)، والسعدي (٢/ ٤١٦).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير (١/ ١٤١)، وتهذيب اللغة، للأزهري (١٥/ ١٧٦، ١٧٧) (ربب)، ومقاييس اللغة، لابن فارس (٢/ ٣٨٢،٣٨١)، ودرج الدرر في تفسير الآي والسور، لعبد القاهر الجرجاني -على ما رجحه محقق الكتاب في نسبته إليه- (١/ ٨٥)، والبسيط، للواحدي (١/ ٤٨٥، ٤٨٦)، والمفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص٣٣٦)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ١٦٦).

إكرامه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

والقول الثاني: أن المراد بـ﴿رَبِّى﴾ هاهنا خالقي فالمراد الله ﷻ، وذلك أن يوسف عليه السلام لم يكن مملوكا في الحقيقة وإنما أُسترق ظلمًا فلا اعتبار لذلك، ألا ترى إلى قوله سبحانه: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾ [يوسف: ٢٥]، ولم يقل سيدهما اعتبارًا بما تقدم.

ويكون الضمير في قوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ عائد على الاسم الكريم: ﴿ٱللَّهِ﴾ في قوله: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣][(١)].

وعلى كل حال فإن الانقياد لأمر الله تعالى وشرعه أهم الأشياء لعظم حقه -تعالى- وكثرة إنعامه وألطافه في حق العبد، وقوله: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى أن حق الله يمنع من هذا العمل.

والرجل قد أنعم عليه وأحسن منزلته وائتمنه على بيته وأهله، فيقبح أن يقابل إكرامه وإحسانه بالإساءة، ويعامله في أهله بأقبح المعاملة، فراعى يوسف عليه السلام حق الله وحق المخلوق، وقابل الإحسان بالإحسان و﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن:٦٠]. فلا منافاة بين القولين في هذا الباب[(٢)].

المطلب الثالث: صفحه الجميل

حصل ليوسف عليه السلام ظلم وتفريط في حقه يدعو النفس البشرية للمعاملة بالمثل، لكنه قابل السيئة بالحسنة، وعفا وأصلح، وأخذ بالأكمل والأفضل في هذا المقام قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

ولم يقف يوسف عليه السلام عند هذا الحد، بل تجده حقق في ذلك كله الصفح الجميل عمّن

---

(١) انظر في هذين القولين: تفسير ابن جرير (١٣/ ٧٨، ٧٩)، والبسيط، للواحدي (١٢/ ٧١)، والبحر المحيط، لأبي حيان (٥/ ٢٩٤)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (١٢/ ٢٥١، ٢٥٢).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير (١٣/ ٧٩، ٨٠)، والرازي (٩/ ١١٧)، وتفسير شيخ الإسلام، جمع إياد القيسي (٤/ ٢٩)، والسعدي (٢/ ٤٠٨).

ظلمه أو فرّط في حقه حيث تجاوز وعفا من غير عتاب، بل إنك تراه يبادر إلى ذلك من غير طلب، ويسعى إلى تقديم الخير والإحسان، ومن ذلك ما يلي:

أولًا: صفحه عن إخوته:

نال يوسف عليه السلام من إخوته الكيد، وقاسى الشدائد، واحتمل المكاره، فاتقى وصبر واحتسب، فلم يضيِّع الله إحسانه بل رفعه وآتاه الملك، ومكنه في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، وعلمه من تأويل الأحاديث، فلم يحمله ذلك على التشفي، والانتقام ممّن ظلمه، بل قابل ذلك بالعفو والإكرام يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٨ – ٩٢].

وفي هذا الموقف الجليل جوانب متعددة يظهر بها كمال صفحه وإحسانه وذلك فيما يلي:

١ – الشفقة عليهم: وذلك أنهم حين أخبروه بما أصابهم وأهلهم من الضر، حيث رأوا ما نزل بأبيهم من تتابع البلاء عليه، في ولده وبصره، وما نزل بهم من شدة المؤونة والفاقة، فسألوه التصدق عليهم، وأخبروه أن بضاعتهم قليلة لا تبلغ ما يشترون به وما يحتاجونه إلا أن يتجاوز لهم، فأخبرهم بنفسه ليعرفوه ويأتوا إليه بأهلهم أجمعين؛ لكي يواسيهم ويكرمهم[(١)].

٢ – الاعتذار لهم: وذلك أن قوله لهم: ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩]، اعتذار لهم وتأنيس لقلوبهم؛ حيث جعل ذلك الزمن بالنسبة لهم زمن جهالة لم يكونوا يدركون فيه قبح صنيعهم به، فلا يؤاخذون بما فعلوا[(٢)].

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير (١٣/ ٣١٦).

(٢) وقيل: إنه قال ذلك توبيخًا وتأنيبًا على ما فعلوا، ويرد ذلك قوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢]، أي: لا لوم عليكم ولا تأنيب ولا توبيخ ولا عقاب. انظر: تفسير ابن جرير (١٣/ ٣٣١)، والبسيط، للواحدي (١٢/ ٢٣٧، ٢٣٨)، والكشاف، للزمخشري (٣/ ٣٢٢)، والبحر المحيط، لأبي حيان (٥/ ٣٣٨). =

وفيه أيضا إيماء بأن حالهم قد صلحت[١]، وأن صحائف الجهالة والاغترار قد طويت؛ لأن العمر ينطوي على مراحل وتحولات ليس على حد سواء، وكم من إنسان فعل فعلًا في زمن ندم عليه، وتغيرت حاله بعد ذلك ويود أن لم يكن فعله.

٣- المبادرة بالعفو والصفح: وذلك أنهم حين ظهر لهم ما صار إليه أمر يوسف عليه السلام من التمكن والسؤدد، وأن الله رفعه عليهم بالعلم والحلم والفضل وبسط الرزق ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٩١] أي: لمذنبين في التفريق بينك وبين أبيك، وأسأنا إليك غاية الإساءة، وتعمدنا فعل الخطيئة في حقك، وحرصنا على إيصال الأذى إليك، ولكن رفعك الله علينا، وأعلى منزلتك، فاعترفوا بذنبهم، وأقروا بخطئهم في حقه.

فلما فعلوا ذلك بادرهم عليه الصلاة والسلام بالعفو والصفح من غير أن يطلبوا ذلك منه صراحة، بل بمجرد اعترافهم فحسب فقال: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ [يوسف:٩٢] أي: لا تأنيب ولا تعيير ولا لوم ولا عقاب، ولا إفساد لما بيني وبينكم من الحرمة، وحق الأخوة، ولكم مني الصفح والعفو الجميل[٢].

وجاء التنصيص على اليوم للتأكيد على طي صفحة الماضي، واستقبال حياة مفعمة بالبهجة والسرور، والأنس والحبور؛ لأنه إذا كان لا تثريب عليهم في هذا اليوم الذي هو مظنّة التثريب، والتشفي وإدراك الثأر، فما الظن بما سيأتي بعده من الأيام؟[٣].

٤- الدعاء لهم بالمغفرة: من كريم شمائل يوسف عليه السلام، وعظيم صفحه وإحسانه، ونبل خلقه وحسن تعامله، دعاؤه لإخوته بالمغفرة، زيادة على مبادرته بالعفو والصفح عنهم حيث قال: ﴿يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٢] أي: ما ارتكبتموه في حقي

=وقيل: إنهم حين فعلوا ذلك بيوسف عليه السلام كانوا صغارًا شبانًا ولذلك أطلق عليهم: ﴿جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩]. انظر: تفسير الثعلبي (٥/ ٢٥٣)، والبسيط، للواحدي (١٢/ ٢٣٢)، وتفسير القرطبي (١١/ ٤٤٢). ويعارض هذا ما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾ [يوسف: ٨].

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٣/ ٤٧).

(٢) انظر: البسيط، للواحدي (١٢/ ٢٣٦)، والمحرر الوجيز، لابن عطية (٣/ ٢٧٧)، والبحر المحيط، لأبي حيان (٥/ ٣٣٨).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير (١٣/ ٣٠)، وابن عطية (٣/ ٢٧٧)، وأبي حيان (٥/ ٣٣٨).

من الظلم عفا الله عنه، وستره عليكم فلا يؤاخذكم به.

فهذه الجملة جملة دعائية سأل فيها يوسف عليه السلام الله تعالى أن يغفر لهم، كما يقال: غفر الله لك، ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع جميعًا، وهذا ما عليه عامة المفسرين، ونص على ترجيحه كثير منهم(١).

وقد رأى أكثر القراء كذلك الوقف على ﴿ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ [يوسف:٩٢]، ثم يبتدئ: ﴿يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [يوسف:٩٢]، على جهة الدعاء(٢).

وذهب بعض العلماء إلى كون ذلك خبرًا بمغفرة الله لهم، ويَرِد عليه أن فيه الحكم بمغفرة الله لهم إلا أن يكون ذلك بوحي من الله تعالى ليوسف عليه السلام(٣).

والقول الأول هو اللائق بحال يوسف عليه السلام وكرمه، وقد جاء دين الإسلام بالدعاء للتائب، وذلك لما قال رجل من القوم لرجل أقيم عليه الحد وانصرف: «أخزاك الله». قال النبي ﷺ: «**لا تقولوا: هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان**»، وفي رواية: «**لا تكونوا عونًا للشيطان على أخيكم**»(٤)، وعند أحمد رحمه الله في آخره: «**ولكن قولوا: رحمك الله**»، وعند أبي داود: «**ولكن قولوا: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه**».

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير (١٣/ ٣٣١)، والثعلبي (٥/ ٢٥٤)، والبسيط، للواحدي (١٢/ ٢٣٩)، وتفسير الزمخشري (٣/ ٣٢٢)، وابن عطية (٣/ ٢٧٨)، والرازي (٩/ ٢١٠)، والقرطبي (١١/ ٤٤٥)، والنسفي (٢/ ١٢٧)، وابن كثير (٤/ ٤٠٩)، وأبي حيان (٥/ ٣٣٧)، والألوسي (١٤/ ٥٠)، والقاسمي (٩/ ٣٥٨٩)، والسعدي (٢/ ٤٣٥)، وغيرهم.

(٢) انظر: المكتفى في الوقف والابتداء، لأبي عمرو الداني (ص٣٢٩)، والمقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء، لزكريا الأنصاري (ص٤٨)، ومنار الهدى في بيان الوقف والابتداء، المنسوب لأحمد الأشموني (ص١٤٥). وانظر: البسيط، للواحدي (١٢/ ٢٣٨، ٢٣٩)، وتفسير ابن عطية (٣/ ٢٧٨)، والقرطبي (١١/ ٤٤٥)، وأبي حيان (٥/ ٣٣٨)، والألوسي (١٤/ ٥٠، ٥١).

(٣) انظر: البسيط، للواحدي (١٢/ ٢٣٨، ٢٣٩)، وابن عطية (٣/ ٢٧٨)، وأبي حيان (٥/ ٣٣٨)، والألوسي (١٤/ ٥٠، ٥١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٨٩- كتاب الحدود، ٤- باب الضرب بالجريد والنعال، رقم (٦٣٩٥)، (٦/ ٢٤٨٨)، و٥- باب ما يكره من لعن شارب الخمر، وأنه ليس بخارج من الملة، رقم (٦٣٩٩)، (٦/ ٢٤٨٩)، والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٣٠٠)، وأخرجه أبو داود في سننه كتاب الحدود، باب الحد في الخمر، رقم(٤٤٧٧، ٤٤٧٨)، (٤/ ١٦٢)، ١٦٣، والبغوي في شرح السنة، كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن الشارب، رقم: ٢٦٠٧، ١٠/ ٣٣٧، ٣٣٨. وزيادة أبي داود هذه صححها الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٨٤٧)، وشعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش في تحقيقهما لشرح السنة للبغوي. انظر: الحاشية (٢)، (١٠/ ٣٣٨) من الكتاب المذكور.

وبهذا يظهر أن يوسف عليه السلام بلغ معهم في هذا الموقف نهاية الإحسان الذي لا يكاد يتأتّى إلا من الأنبياء الكرام عليهم السلام لما جبلوا عليه من علو الهمم، وكرم النفوس، فلا يريدون لغيرهم إلا الخير والصلاح في الحال والمآل.

٥- **السعي في الإحسان إليهم**: يوسف عليه السلام لما عفا عنهم ودعا لهم بالمغفرة، سعى إلى إيصال الإحسان إليهم، بدعوتهم إلى أن يأتوا بأهله أجمعين؛ لكي يتمكن من تقديم المعروف إليهم، ومواساتهم، إذ لم يكن قصده بذل الإحسان لجميع أهله دون من أساء إليه بل لهم جميعًا، ولذلك جاء بنو يعقوب عليه السلام من النساء والذراري إلى يوسف عليه السلام في مصر، ولم يبق منهم أحد لينعموا ويأمنوا معه، ويتخذوا مصر دارًا لهم ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩] (١).

ثانيًا: مع الساقي:

أوصى يوسف عليه السلام أحد الفتيين الذين دخلا معه في السجن، وقصَّا عليه الرؤيا، حين ظن نجاته وهو الساقي أن يذكره عند الملك، ويخبره بمظلمته ولكنه نسي وصية يوسف عليه السلام له، فمكث في السجن بضع سنين، وهو ما بين الثلاث إلى التسع (٢)؛ ولهذا قال كثير من المفسرين إن يوسف لبث في السجن بعد تعبير رؤيا صاحبيه سبع سنين (٣)، ولما رأى الملك

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ٤٤٦)، وابن كثير(٤/ ٤٠٩)، والألوسي (١٣/ ٥٢).

(٢) تنبيه: قد اختلف في الذي أنساه الشيطان ذكر ربه أهو يوسف عليه السلام ويكون المقصود بـ﴿رَبِّهِۦ﴾ هنا: الله عز وجل، أو هو الساقي، ويكون المقصود بـ﴿رَبِّهِۦ﴾ هنا الملك، ومن العلماء من جعل الضمير صالحًا للوجهين، ولكن الأظهر أنه الساقي، بدلالة قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥]، فأخبر تعالى أنه تذكر بعد حين، وكذلك الضمير يعود إلى أقرب مذكور، وهو الساقي، وقد اختار هذا شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٥/ ١١٢)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٣١٠)، وابن كثير (٤/ ٣٩١)، والألوسي (١٢/ ٢٤٧)، والقاسمي (٩/ ٣٥٤٥)، والسعدي (٢/ ٤١)، قال ابن كثير رحمه الله: «والصواب أن الضمير في قوله: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾ -[يوسف: ٤٢]- عائد على الناجي، كما قال: مجاهد، ومحمد بن إسحاق، وغير واحد»، واختار أنه يوسف عليه السلام ابن جرير في تفسيره (١٣/ ١٧٢)، والواحدي في البسيط (١٢/ ١٢٢) ونسَبه للأكثرين، وكذلك البغوي في تفسيره (٤/ ٢٤٤)، وغيرهم. قال ابن عاشور في التحرير والتنوير (١٢/ ٢٧٩): «ولعل كلا الاحتمالين مراد وهو من بديع الإيجاز».

(٣) انظر: ما تقدم في المطلب الأول: فتنة التعذيب.

الرؤيا وعجز الملأ عن تعبيرها، واحتاج إلى من يعبرها، تذكر الذي نجا من صاحبي يوسف عليه السلام في السجن، بعد هذه المدة الطويلة ما عليه يوسف من العلم بتأويل الأحاديث، وكان ذلك عن خبرة عرفها عن يوسف بسبب مخالطته له في السجن وتعبير رؤياه ورؤيا صاحبه كما أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٥ – ٤٦].

وهنا يتجلى موقف يوسف عليه السلام تجاه الساقي الذي أوصاه عليه السلام أن يذكر أمره عند الملك، ويخبره بحاله والظلم الذي وقع عليه، فغفل عن ذلك ولم يتذكره إلا حين الحاجة إليه في تعبير رؤيا الملك، بعد مدة طويلة بلغت سنين كما تقدم.

وقد كان يوسف عليه السلام مع هذا كله في السجن في حال شدة وبلاء لا في حال أنس ورخاء، ثم يأتيه الساقي الذي بلّغه أن يؤدي رسالته إلى الملك، ويسأله عن الرؤيا ويعبرها له دون أي عتاب، أو مواجهته بشيء يذكره تفريطه في حقه حين لم يبلغ الملك مطلوبه، مع أنه مكث بعده في السجن سنين عددًا، فسبحان من وهب هذه النفوس الزكية مكارم الأخلاق، ومنّ عليها بكريم السجايا، وشريف الخصال، ولعل الواحد منا يتدبر حاله ماذا سيكون لو أوصى أحدًا بشيء ثم تأخر تأخرًا لا يبلغ عشر معشار هذه المدة التي لبثها يوسف عليه السلام في السجن، بماذا سيواجه صاحبه؟ وماذا ستكون ظنونه به، وعتابه له؟

فنسأل الله تعالى أن يهدينا لأحسن الأخلاق التي لا يهدي لأحسنها إلا هو برحمته وهو خير الراحمين.

المطلب الرابع: كمال نصحه

النصح والرغبة في إيصال الخير الديني والدنيوي إلى الآخرين، من غير هدف سوى تحقيق مصلحتهم، وسلامتهم من الشر في الدنيا والآخرة، هو الجامع لعرى الخير، ومهبط الفضائل، ومبعث القوة لدى الأمة، والعصمة -بإذن الله- من الوقوع في الفتن والضلال، والانحلال الديني والخلقي، ولهذا يقول ﷺ: «**الدين النصيحة**»، قلنا: لمن؟ قال: «**لله**

ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[(١)(٢)].

وبه تظهر حقيقة التمسك بهذا الدين يقول جرير بن عبدالله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بايعت النبي ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»[(٣)].

وكان سنن الأنبياء عليهم السلام هو النصح وتحقيق الخير للآخرين، يقول تعالى مخبرًا عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٢]. وكذلك هود عليه السلام قال: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨]، وكذلك صالح عليه السلام: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩].

وهكذا جاءت السنة ببيان هذه الحقيقة يقول النبي ﷺ: «**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم ...**»[(٤)]، فالنصح خلق من أخلاق الأنبياء عليهم السلام، وركيزة من ركائز شمائلهم الحميدة؛ ولهذا كان يوسف في هذه القصة العظيمة ناصحًا نصحًا عظيمًا من غير نظر في مصلحة مادية تعود عليه كما هو شأن الأنبياء كلهم عليهم السلام.

وتدبر معي بعد في هذه المواقف التي وقعت ليوسف عليه السلام، ترى العجب في تحقيق هذا المبدأ النبيل، وبلوغ هذا الهدف الأسمى في تحقيق النصح على أحسن الوجوه وأتمها.

الأول: تعبيره للرؤيا:

حين جاء الذي نجا منهما يطلب من يوسف عليه السلام تعبير رؤيا الملك، وسأله عنها أجابه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم (٥٥)، (١/ ٧٤).

(٢) في شرح صحيح مسلم للنووي (١/ ٣٩٦): «هذا حديث عظيم الشأن، وعليه مدار الإسلام، وما قاله جماعات من العلماء: أنه أحد أرباع الإسلام، أي أحد الأحاديث الأربعة التي تجمع أمور الإسلام، فليس كما قالوه، بل المدار على هذا وحده. والنصيحة كلمة جامعة ومعناها: حيازة الحظ للمنصوح له» أ.هـ باختصار، وانظر: معالم السنن، للخطابي (٤/ ١٢٥، ١٢٦).

(٣) صحيح مسلم، الموضع السابق، رقم (٥٦).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، رقم (١٨٤٤)، (٣/ ١٤٧٣).

مباشرة دون قيد أو شرط: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [يوسف: ٤٧].

ألا ترى أنه لم يطلب على ذلك أجرًا، ولا حتى رفع الظلم عنه حيث سُجن ظلمًا، مع أن تعبير الرؤيا قد اقتصر عليه لعجز الملأ عنه: ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ [يوسف: ٤٤]، فيا لله كم تحمل نفوس الأنبياء الكرام عليهم السلام بين جنباتها من الخير للناس ولكن أكثرهم لا يعلمون، وكم تحوي قلوبهم من الصدق والإخلاص، وكم يقدمون من النصح ويدلّون على الخير، وأكثر الناس عنهم معرضون.

فنسألك اللهم ربنا أن تلهمنا رشدنا، وأن ترزقنا اتباع سنة نبيك محمد ﷺ ظاهرًا وباطنًا على الوجه الذي يرضيك عنا يا ذا الجلال والإكرام.

الثاني: سؤله الولاية:

من المعلوم أن للولاية أعباءها الثقيلة، ومستلزماتها الباهضة، يعرف ذلك من قدرها حق قدرها، وأقامها لله وخاف سوء الحساب، ولا يتطلع بها إلى العلو في الأرض ولا الفساد، ولهذا ترى أهل الخير والصلاح لا يطلبونها إلا للغايات النبيلة التي ينشدونها من ورائها، ويحرصون على التجافي عنها وإن كان حبها مغروسًا في الفطر.

ولهذا أخرج إبليس أبانا آدم عليه السلام بذلك حين أطمعه في دوام الملك: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه:١٢٠]، فيوسف عليه السلام يعلم عظم مسؤولية الولاية وخطرها، ولكنه طلبها، وأثنى على نفسه حين قال: ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، لا لذاتها ولكن قصد النصح وذلك لما يتميز به من صفتي الحفظ والعلم التي تؤهلانه للقيام بها على أكمل وجه؛ لكي يتجاوز السبع الشداد التي ستسلبهم كل شيء إلا القليل مما يدخرون ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ [يوسف: ٤٨]، فسأل ذلك لإنقاذهم وتحقيق مصلحتهم، وهكذا يكون النصح والتجرد من حظوظ النفس وأهوائها.

الثالث: أسلوبه في الدعوة:

يلحظ من أسلوب الداعية، ومنهجه، ومسيرته في حياته في الدعوة مدى نصحه

وشفقته، وحرصه على نجاة الآخرين وهدايتهم، وتحقيق الخير لهم. وفي دعوة يوسف عليه السلام لصاحبيه في السجن يتبين لنا ذلك يقول الله عز وجل: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٦ – ٤٠].

وفي هذا الموقف جوانب متعددة، حري بالمسلم أن يتخذها منهاجًا في دعوته إلى توحيد الله والإنابة إليه حسب الحال والمقام، ومنها ما يلي:

١. أنه بدأ بطمأنتهما على إجابتهما إلى ما سألاه من تعبير رؤياهما على وجه الدقة والكمال؛ ليستعدّا إلى ما يلقيه عليهما من الدعوة إلى التوحيد ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ﴾.

٢. أضاف ذلك العلم والحال الكريمة التي هو عليها إلى الله وحده؛ ليحقق في نفوسهما تعلقهما بالله -جل ثناؤه- دون سواه ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ﴾.

٣. بيّن سبب تحصيل ذلك العلم والإحسان الذي رأياه عليه في قولهما: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ فقال لهما: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ فهذه دعوة بالحال التي هو عليها إلى الإيمان بالله وحده.

٤. دفع وساوس الشيطان وكيده عنهما ببيان أن هذا التوحيد والنسك الذي كان عليه، ليس محدثًا من قبل نفسه، بل قد اتبع فيه دين آبائه الأنبياء الكرام، والأئمة الحنفاء العظام، الذين ما صح ولا استقام أن يقع منهم ولا منه شرك أبدًا: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾. فعراقة التوحيد والإمامة في الدين

متأصلة، فلم التواني عن الاستجابة لدعوته، والسير على منهاجه، بعد رؤية ثمرته وأثره عليه، وسير الأنبياء قبله عليه؟.

٥. بيان أن ذلك محض منّة وفضل من الله، منَّ به عليه، وقد ضل عنه أكثر الناس، لكي يهتبلا[١] الفرصة في الدخول معه فيه، ويبادرا إلى اعتناقه والاغتباط به.

٦. توجيه الخطاب إليهما بطريق النداء لاسترعاء الانتباه والاهتمام بما يقوله لهما، والتلطف في حسن الاستدلال بالأسلوب التقريري على فساد ما عليه قومهما من عبادة الأصنام، ومناداتهما باسم الصحبة في المكان الشاق الذي تُخلَص فيه المودة وتتمحّض فيه النصيحة[٢] ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾.

٧. تجلية حقيقة ما كانا عليه وقومهما من العبودية لغير الله، وأنهم ما كانوا يعبدون إلا مجرد أسماء، لا تملك من خصائص الألوهية ومقوماتها ولو ذرة، وإنما عبدها آباؤهم، فدرجوا على عبادتها اقتداء بهم، دون نظر إلى حقيقتها ومؤدّاها، كما قال غيرهم من سائر الأمم: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، وحاجّ إبراهيم قومه فأجابوه بذلك ﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٧٢ – ٧٤].

فهذا غاية ما عليه أهل الشرك، ومنتهى ما يدركون، صم بكم عمي فهم لا يعقلون، يعلمون حقيقة ما هم عليه من الباطل، ثم يحاجون عنه ويقاتلون عليه.

وتأمل هذا الأسلوب في الدعوة الذي توصل فيه إلى الهدف من بيان حال ماهم عليه، من غير تعنيف ولا عتاب، ومن دون سب لآلهتهم ولا تسفيه؛ ليكون ذلك أدعى لقبولهم، وأبعد عن نفورهم، واستيلاء الشيطان عليهم.

فما أحسن الأخذ بهذه الأساليب في الدعوة إلى الله، والوصول إلى الأهداف السامية النبيلة! وما أعظم أثرها على النفوس! وأجل ثمارها على المنصوح!.

---

(١) اهتبال الفرصة: اغتنامها. انظر: الصحاح، للجوهري (هبل) ٥/ ١٨٤٧.

(٢) انظر: تفسير أبي حيان (٥/ ٣٠٩)، ومحاسن التأويل، للقاسمي (٩/ ٣٥٤١)، وابن عاشور (١٢/ ٢٧٤).

الوجه الرابع : شكره لربه تبارك وتعالى

من أعظم مقامات العبودية لرب العالمين، القيام بشكره تعالى ولهذا يقول سبحانه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [آل عمران:١٢٣]. ويقول جل ثناؤه: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]. فتحقيق شكر الله ﷻ تحقيق للعبودية لله رب العالمين وتعظيمه وإجلاله؛ ولهذا لم يغفل يوسف عليه السلام عن شكر ربه بل حقق ذلك وأعلنه، وقد ظهر ذلك في جانبين :

الجانب الأول: إسناد النعم وإضافتها إلى الله عز وجل

المتدبر لسياق الآيات يجد أن يوسف عليه السلام حين يذكر نعمة من النعم التي أنعم الله بها عليه يسندها إلى خالقها والمنعم عليه بها -جل ثناؤه- ولا يضيف شيئًا منها إلى نفسه أو أحد سوى الله ﷻ مما يدل على كمال اعترافه بها واستكانته وخضوعه لربه، وثنائه عليه بما أنعم، وحقق له من السيادة والملك والرفعة بعد الفراق والاسترقاق والسجن ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۖ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يوسف: ٥٦ - ٥٧] وتأمل هذا فيما يلي:

الموضع الأول: لما سأله الفتيان عن رؤياهما ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٣٦ - ٣٧] ، فأسند ما علمه من تعبير الرؤيا إلى ربه لا إلى فهمه وذكائه أو نحو ذلك فقال: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾.

الموضع الثاني: أنه لما ذكر ما منّ الله به عليه من الإيمان والسلامة من الشرك، واتباعه للملة الحنيفية ملة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب قال: ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨].

الموضع الثالث: أنه حين رفع أبويه على العرش وخرُّوا له سُجَّدًا ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ

مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [يوسف:١٠٠]، فأسند كل هذه النعم إلى الله تعالى من تحقيق الرؤيا وسجودهم له، وخروجه من السجن، ومجيء أبويه وإخوانه من بعد أن نزغ الشيطان بينه وبينهم، ثم أخبر بكمال لطف الله به وسعته حيث حقق هذه الأمور له على بعدها في الظاهر، وتعذر الوصول إليها لولا لطف الله به وإحسانه إليه.

ولاريب أن هذا من أعظم مقامات الشكر لله رب العالمين، وأن إسناد النعم إلى غيره تعالى كفر بها، مناف لشكره تعالى عليها، كما قال سبحانه في ذم من صنع ذلك ﴿ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]. «قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وجماعة المفسرين: تجعلون شكركم أنكم تكذبون بنعمة الله عليكم فتقولون: سقينا بنوء[(١)] كذا»[(٢)]، وذلك أنهم ينسبون المطر إلى الأنواء لا إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فكانوا غير شاكرين، وفي قراءة علي وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: (وتجعلون شكركم أنكم تكذبون)[(٣)].

وفي حديث زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف النبي ﷺ أقبل على الناس فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟** » قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بالله كافر بالكواكب، وأما**

---

(١) الأنواء ثمانية وعشرين نجمًا معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها، يسقط منها في كل ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته وانقضاء هذه النجوم مع انقضاء السنة، فكانوا إذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا: لابد من مطر ورياح فينسبون كل غيث يكون عند ذلك إلى النجم الساقط فيقولون: مطرنا بنوء الثريا، والدَّبران، والسماك. الفائق، للزمخشري (٤/ ٢٩)، وانظر: الصحاح، للجوهري (١/ ٧٩) (نوء).

(٢) البسيط، للواحدي (٢١/ ٢٦٣)، وانظر: تفسير ابن جرير (٢٢/ ٣٧٠،٣٧١)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٥٤٦)، وذكر ابن عطية في تفسيره (٥/ ٢٥٢) إجماع المفسرين على أن الآية توبيخ للقائلين في المطر الذي ينزله الله للعباد هذا بنوء كذا وكذا.

(٣) انظر القراءة في تفسير ابن جرير (٢٢/ ٣٧٠،٣٧١)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٥٤٦)، وقال: «وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس»، وتفسير أبي حيان (٨/ ٢١٤)، وهي قراءة شاذة لمخالفتها لرسم المصحف وعدم تواترها كما هو معلوم. انظر: المحتسب، لابن جني (٢/ ٣١٠)، والحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي (٦/ ٢٦٥).

من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب[1]»[2].

الجانب الثاني: تذكره لها وتحدثه بها

تذكر النعم والتحدث بها سبيل من سبل شكرها والقيام بما أوجب الله على عبده تجاهها؛ ولذا نرى أن الله في كتابه العظيم يأمر عباده بذلك ويذكرهم نعمه وأياديه عليهم في مواضع متعددة من كتابه، كما قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧] . وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣].

وكذلك كان الأنبياء عليهم السلام يأمرون أممهم بتذكر نعم الله عليهم ليكون سببًا في اهتداء أقوامهم، وقيامهم بشكر الله على ما أنعم به، فها هو هود عليه السلام يقول لقومه: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۡۜطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩][3] .

وهكذا كان يوسف عليه السلام يذكر نعم الله عليه ويتحدث بها ويثني على ربه جَلَّوَعَلَا كما أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، فتراه يتحدث بالنعم ويعددها واحدة واحدة، ويثني بها على ربه، ويتوسل إلى الله بذلك في دعائه ومناجاته لربه فيقول: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستسقاء، باب قول الله تعالى: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾، (١/ ٣٥١)، رقم (٩٩١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، (١/ ٨٣)، رقم (٧١).

(٢) في نسبة المطر إلى الأنواء تفاصيل ليس هذا موضع بسطها، ترى جملة من ذلك عند النووي وابن حجر في شرح الحديث المذكور، وشرح كتاب التوحيد في باب ما جاء بالاستسقاء بالأنواء.

(٣) وكذلك صالح عليه السلام كما في الآية (٧٤) من السورة نفسها، إلى غير ذلك من الآيات.

الوجه الخامس :بره وصلته

يلحظ المتأمل في أحوال الناس الاجتماعية وحياتهم الخاصة والعامة أن كثيرًا ممن رزقه الله المال أو الرياسة أو هما معًا يغفل عن ذوي رحمه وأقاربه، ويتنكر لهم، بل وتجد التمرد والطغيان والتجبر والتكبر سمة بارزة في حياتهم إلا من رحم الله وعصم، وقليل ما هم، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦ – ٧]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [فصلت: ٥١]، ولكننا نجد يوسف عليه السلام حين رزقه الله المال، ومنّ عليه بالرياسة كان على الضد من ذلك فتراه يعطف على إخوته ويحنو عليهم بعد الذي كان منهم ويطلب مجيء أهله وذويه، وقد تقدم الحديث عن هذا من وجه آخر بتوسع[(١)]، فلعلي أُجمِل الحديث عنه في الأمور التالية:

الأول: عفوه عن إخوته:

في هذا الموقف تتجلى صورة من صور البر والإحسان، والتجاوز عن الإساءة، ونبذ الضغائن والأحقاد مهما كانت الخطيئة، ومهما كانت تبعاتها، وطول أمدها وبُعد شقتها، ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٢] ويتلخص هذا فيما يلي:

١. أنه عليه السلام لم يصرح بالخطيئة ويباشرهم بها وإنما قال: ﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩]، فألمح إليها وضرب عنها صفحًا وإنما ذكر ذلك ليشعرهم بأنه يوسف، وليحملهم تذكرها على المبادرة إلى التوبة والإنابة حين ظهر لهم ما منّ الله به عليه من الفضل والإحسان مما لم يخطر لهم على بال.

٢. أنه عذرهم بقوله: ﴿إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾ «يعني في حال جهلكم بعاقبة ما تفعلون بيوسف وما إليه صائر أمره وأمركم»[(٢)].

٣. أنه بادرهم بالعفو: ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾، ودعا لهم بالمغفرة بقوله:

---

(١) انظر: الوجه الثالث، المطلب الثالث: «صفحه الجميل».

(٢) تفسير ابن جرير (١٣/ ٣٢٧).

﴿يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢] وذكرهم بسعة مغفرة الله وفضله، وفتح لهم باب الأمل والرجاء، وهذا الأسلوب معهم والأفعال الكريمة نهاية البر والإحسان إليهم، ولا يتأتّى ذلك إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين(١).

الثاني: مبادرته إلى البر والإحسان:

قال -تعالى- مخبرًا عنه: ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [يوسف: ٩٣]، ففي إرسال القميص تعجيل لمسرة أبيه؛ لأن ذلك علامة ودليل لأبيه على حياته، و في إلقائه على وجهه رجوع بصره الذي فقده بسبب وَجْدِه عليه، ولاريب أن في تقديم ذلك كله وتعجيله من البر والإحسان إلى أبيه ما هو ظاهر(٢).

وفي قوله: ﴿وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ بر وإحسان إلى جميع أقاربه وذوي رحمه وعشيرته حيث طلب قدومهم بقصد صلتهم وإكرامهم، ولكي يزيل عنهم -بإذن الله- شدة المؤونة، وشظف العيش، وقد كانوا ثلاثةً وتسعين ما بين رجل وامرأة، وقيل: ستة وتسعون، وقيل: غير ذلك(٣).

الثالث: إيواء أبويه إليه ورفعهما على العرش:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ٩٩ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [يوسف: ٩٩ - ١٠٠]. في هذا المنهج الذي سلكه يوسف عليه السلام تجاه أبويه(٤) عناية بالغة بهما، وبر وإحسان إليهما، وحفاوة وتكريم لهما حيث تلقاهما وضمهما إليه واعتنقهما، وخصهما بقربه، وأبدى لهما من البر والإحسان شيئًا عظيمًا، ورفعهما على سرير الملك، وأجلسهما مجلس العز والكرامة، وطمأنهم جميعًا بالسلامة والعافية

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير (١٣/ ٣٣١)، والزمخشري (٢/ ٥٠٣)، وأبي حيان (٥/ ٣٣٨، ٣٣٩)، والسعدي (٢/ ٤٣٥).

(٢) انظر: تفسير السعدي (٢/ ٤٣٥)، وابن عاشور (١٣/ ٥١).

(٣) انظر : تفسير ابن جرير (١٣/ ٣٣٢)، والبسيط، للواحدي (١٢/ ٢٤٢)، ومفاتيح الغيب، للرازي (٩/ ٢١١)، السعدي (٢/ ٤٣٥)، وابن عاشور (١٣/ ٥١).

(٤) ذكر غير واحد من المفسرين أن أمه قد ماتت، وإنما المقصود هنا خالته تزوجها أبوه بعد وفاة أمه، وظاهر القرآن أنها أمه وليست خالته، وقد رجح ذلك ابن جرير في تفسيره (١٣/ ٣٥٢)، واستظهره أبو حيان أيضا في تفسيره. (٥/ ٣٤١).

من جميع المخاوف والمكاره، وزوال ما كانوا فيه في البادية من الجدب والقحط وشدة المؤونة، فدخلوا في هذه الحال السارة من البر والإكرام، وزال عنهم النصب، وتحققت لهم البهجة والسرور بفضل الله ورحمته[1].

(١) انظر: تفسير ابن جرير (١٣/ ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤)، والرازي (٩/ ٢١٥)، وأبي حيان (٥/ ٣٤١)، والسعدي (٢/ ٤٣٦).

الوجه السادس: دعاؤه و مناجاته

من علامات توفيق الله للعبد، وفلاحه في الدنيا والآخرة، وتجاوزه للمحن والشدائد، وتغلبه على الصعاب، ونجاته من الفتن، ونيله المنح من الله، وعظيم المنن والهبات، اجتهاده في اللجوء إلى ربه والضراعة إليه، والانكسار بين يدي مولاه وسؤاله ومناجاته، وتبرّئه من حوله وقوته، ومتى كان العبد بهذه المثابة فإن الله بلطفه ورحمته يتولاه، ويحميه، ويحوطه، ويحقق له سؤاله، وينجيه من كل كرب ومكروه، ويخلصه من كل شدة وبلاء -بإذنه-.

وتأمل في حال يوسف عليه السلام حين لجأ إلى ربه أن يخلصه من كيد امرأة العزيز ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]، فاستعاذ بالله، ولجأ إليه، وكذلك كيد من معها من النساء حين تظاهرن معها عليه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣] فبين حاله، وطلب السلامة والنجاة من ربه -جلّ ثناؤه- واستعصم، وآثر السجن، وقدّمه على الاستجابة لهن وبيّن ضعفه، وتبرأ من حوله وقوته فكانت العاقبة أن حقق الله له ذلك: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤].

وهكذا لا تكاد تجد في القرآن أحدًا سلك هذا السبيل إلا وأفلح وظفر، واستجاب الله له، ولا تكاد تجد أحدًا تنكبه واعتمد على نفسه وحوله وقوته في شيء إلا ابتلي ولم يحقق الله له مراده[1]، فاستمسك أخي بسبيل الانقطاع إلى الله وحده، والضراعة إليه، وتبرأ من حولك

---

(١) ومن هذا الباب الاعتبار بحال من اشترطا الشكر لله إن آتاهما ولدا صالحًا فكانت النتيجة أن جعلا له شركاء فيما آتاهما كما أخبر الله عن ذلك بقوله: ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الأعراف: ١٨٩ - ١٩٠]، وفي المقابل حين اعترفا بالذنب وتبرآ من حولهما وقوتهما ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[الأعراف: ٢٣] حقق لهما المغفرة وتاب عليهما.

وكذلك تدبر قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ [فاطر: ٤٢] فكانت النتيجة ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢]، وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾=

وقوتك في كل ما يُلمّ بك، واعلم علم اليقين أنه ليس لك من الأمر من شيء، وأنه لا أحد يملك لك من الله من شيء تفلح وتنجو.

وكذلك كانت حال يوسف عليه السلام، حين توجه إلى ربه وسأله أن يحقق له أكمل الغايات وهي الوفاة على الإسلام، وأن يلحقه بعباده الصالحين فقال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

«وتأمل فيما اشتمل عليه هذا الدعاء من النكت والأسرار والخضوع والانكسار حيث جمع فيه بين الثناء على الله بما أسبغ عليه من الفضل والإحسان، والإقرار بالتوحيد وربوبيته تعالى للخلق والاستسلام له -جل ثناؤه-، وإظهار الافتقار إليه، والبراءة من موالاة غيره سبحانه، وكون الوفاة على الإسلام أجل غايات العبد، وأن ذلك بيد الله لا بيد العبد، والاعتراف بالمعاد، وطلب مرافقة السعداء»[(١)].

وسؤال يوسف ربه ذلك والاجتهاد فيه يدل على كمال هذا الدعاء، وعظيم شأنه، وشدة خطر فواته، وأنه ليس بعده إلا البوار والخسار نعوذ بالله من الخذلان.

وإذا كان يوسف عليه السلام قد خلّصه الله ونجاه من الفتن على كثرتها وتعددها، وهو نبي الله، ومع ذلك لا يزال خائفًا وَجِلًا من سوء الخاتمة، فسأل الله أن يثبته على الإسلام حتى يتوفاه عليه فكيف بنا نحن؟! وكذلك أبو الأنبياء، وإمام الحنفاء، وخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام دعا ربه فقال: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، فلم يأمن البلاء فكيف يأمنه غيره؟!، ولذا كان نبينا صلى الله عليه وسلم يجتهد في سؤال الله ذلك ويكثر منه كما ثبت من حديث أم سلمة

=[القصص: ١٧] فكانت النتيجة ﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۖ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص: ١٨ - ١٩]، يقول قتادة رحمه الله في قوله: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧] «يقول: فلن أعين بعدها ظالمًا على فجره، قال: وقلما قالها رجل إلا ابتلي قال: فابتلي كما تسمعون». أخرج عبدالرزاق في تفسيره الجملة الأولى (٢/ ٨٨)، وأخرجه ابن جرير بتمامه (١٨/ ١٩١، ١٩٢) في تفسيره. ونظائر هذا كثيرة في القرآن، ولعل الله تعالى أن ييسر تناول ذلك كله وبسطه في موضع آخر بمنه وكرمه.

(١) الفوائد، لابن القيم (ص٢٩٢)، بتصرف.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»[(١)] ويقول: «**يا ولي الإسلام وأهله مسكني الإسلام حتى ألقاك عليه**»[(٢)]، ولعلك أن تنظر في حال خلاصة الأمم وهم الراسخون في العلم من العلماء، حيث كان ذلك دعاؤهم كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٧ – ٩].

فما أحسن حال العبد أن يدرك عظم شأن هذا المبدأ، وأن يتخذ سؤال الله ذلك آناء الليل وآناء النهار منهجًا وسلوكًا لعله تعالى أن يمنّ عليه بخاتمة السعادة، وأن يلحقه بالصالحين من عباده خاصة مع كثرة الفتن وتيسُّر أسباب الفساد عن طريق كثير من الوسائل، وتسنم كثير من دعاة الشر لها، وتفننهم في الدعوة إلى ذلك، وتسهيل ركوب المنكر، ومخالفة الهدي والسنة، فنسأل الله تعالى أن يرزقنا العصمة والنجاة فإنه لا سبيل لنا إليها إلا به، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، إنه تعالى يضل الظالمين ويفعل ما يشاء.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٤/ ١٣٨)، رقم (٢٦٥١٩)، والترمذي في سننه (٥/ ٥٠٣)، رقم (٣٥٢٢)، وقال: «هذا حديث حسن»، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٣٢٣)، رقم (٧٩٨٧)، ومحققو المسند في الموضع المذكور آنفًا.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ٢٠٦)، رقم (٦٦١)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٢/ ٤٨٢)، رقم (٥٨٠٤)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٤٦٢)، رقم (١٤٧٦).

المبحث الثاني :
ثمرة ذلك الإحسان وحسن عاقبته في الدنيا والآخرة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : حسن عاقبته في الدنيا

النظر في العواقب أساس من أسس النجاح، وسبيل من سبل النجاة، والناظر فيها بعين البصيرة، واستئناس الرشد، يتلقح عقله، ويتدارك نفسه، إذا تبيّنت له سبل الهداية فسلكها، وعرف سبل الغي والهلاك فاجتنبها؛ لذا نرى أن الله في كتابه المبين يذكر هذا المبدأ، ويعظ به لما له من عظيم النفع وبالغ الأثر، يقول تعالى عقب بيانه لمصارع بعض الأقوام: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [الزخرف: ٢٥]. وكذا: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ٣٩]. وكذا: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف:٣٩]، وهكذا.

ومن نظر من أولي الألباب فيما أصاب يوسف عليه السلام من الامتحان والبلاء، وما حقق تجاه ذلك من التحمل والصبر، والأخلاق الحميدة، وما نال من الفوز والظفر، والسعادة في الدنيا والآخرة، اعتبر واجتهد في الأخذ بأسباب السلامة والنجاة: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

ومن هذه العواقب الحميدة التي أفاضها الله على يوسف عليه السلام، وأنعم بها عليه، وكانت غاية المُنى، ومزدجر أولي النهى ما يلي:

١. إيتاء العلم، حيث منّ الله على يوسف عليه السلام بالعلم في جوانب متعددة، كالعلم بالله وأمره ونهيه، والعلم بسياسة الأمم، والعلم بتأويل الأحلام؛ وذلك بسبب إخلاصه الدين لله، وإحسانه ، وصبره وتقواه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «التوحيد الذي هو إخلاص الدين لله أصل كل خير من علم نافع، وعمل صالح»[(١)]، «وهكذا يكون حال من سلك طريق الهدى، واتبع

(١) جامع المسائل، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦/ ١٣٣).

المرسلين، وأعرض عن طريق الظالمين، فإنه -تعالى- يهدي قلبه، ويعلمه ما لم يكن يعلم، ويجعله إمامًا يُقتدى به في الخير، وداعيًا إلى سبيل الرشاد»[(١)].

٢. تَحقُّق العون له بسبب صدقه وإخلاصه، فإن يوسف عليه السلام مرّ بمحن كبيرة، وفتن كثيرة، ومواقف، تجاوزها كلها بأكمل حالٍ وأفضل مقامٍ، فلم يذكر الله عنه شيئًا قط يعاب به، ولا ثبت في سنة رسوله ﷺ إلا ما به كماله وعلو شأنه، وكان محل القدوة والإشادة.

وليعلم العبد أن عون الله له على قدر النية، فإن تمت نيته تم عون الله له، وإن نقصت نيته نقص عنه عون الله بقدر ذلك، ومن عرف الله منه الصدق أعانه، وحقق له مراده في مرضاته، وفتح عليه من الخيرات والإحسان ما لا يحيط به إلا هو بفضله وكرمه: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ١٨ – ١٩]، والله لا يضيع أجر من أحسن عملًا، ويزيد الذين اهتدوا هدى، وهو الواسع العليم.

تأييد الله له على من كاد له، وحفظه مِن مكر مَن مكر به، وذلك أن إخوته كادوه خفية وأظهروا الطيب له وأبطنوا الخبيث، فقالوا: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢]، وإنما أرادوا التخلص منه، وتلك هي حقيقة الكيد والمكر العظيم كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢]، فاحتالوا على أبيهم، ليتوصلوا إلى مأربهم حسدًا وبغيًا، ولكن يوسف عليه السلام كان واثقًا بربه متوكلًا عليه، ومن وثق بالله وتوكل عليه كانت معه الفئة التي لا تُغلب، والهادي الذي لا يضل، والحارس الذي لا ينام؛ لذا كانت العاقبة الحميدة له كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]، فوقع ما خافوه، وسعوا في الخلاص منه بسببه وحسدوه لأجله، من الرفعة والسؤدد، وأقروا له بالعز والتمكين: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ [يوسف: ٨٨]، واعترفوا بتفضيل الله له عليهم: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٩١]، وخضعوا له: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٨٩).

[يوسف: ١٠٠]. فسبحان من حقق له ذلك كله بلطفه، وأعزه وأكرمه، وصار ما فعلوه سببًا في وقوع ما خافوا منه وهم لا يشعرون ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

٣. وكذلك امرأة العزيز كادته بالمراودة فعصمه الله بسبب توحيده وإخلاصه: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]، وكذبت عليه: ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٥]، وسعت سعيها لسجنه وإذلاله إن لم يفعل ما تأمره به ظلمًا وعدوانًا: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]، ثم كانت العاقبة الحميدة له، فأقرت له بالفضل واعترفت بنزاهته وصدقه وأمانته: ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١].

٤. وكذلك النسوة: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾ [يوسف: ٥١]. فخرج من السجن لم ينله صغار أبدًا، بل إنه خرج موفور العزة والكرامة، تشرئب إليه الأعناق، وتتطلع إليه الأنظار بعد تعبيره لرؤيا الملك، وتبددت الأراجيف، واضمحلت الإشاعات والأكاذيب، وظهر الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقًا، وكانت العاقبة للتقوى.

٥. وعوضه تَبَارَكَ وَتَعَالَى عن السجن التمكين في الأرض، ينزل ويقيم فيها حيث شاء، ويتصرف في جميع مملكة مصر، فضلًا من الله وإحسانًا، بعد الضيق والحبس، ولم يضيع الله -تعالى- حسن صبره على ما ناله من المكاره بسبب إخوته وامرأة العزيز، بل أعقبه السلامة والنصر والتأييد والسعة وبسط النفوذ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٦].

وفي ختم الآية بقوله: ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، دليل على أن هذه الرحمة العظيمة التي أصابه الله تعالى بها، سببها إحسانه العظيم في قوله وفعله في جميع مواقفه، وأن ذلك عام لكل مؤمن يستقيم على الإحسان ولا يختص بيوسف عليه السلام، فالحمدلله على فضله.

وتأمل في عظيم لطف الله بيوسف عليه السلام وتأييده له ونصره على إخوته في قوله تعالى:

﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [يوسف: ٧٦].

«قال أهل التفسير: كان حكم الملك في السارق أن يضرب ويغرم ضعفي ما سرق، فلم يكن يتمكن يوسف عليه السلام من حبس أخيه عنده في حكم الملك لولا ما كاد الله له تلطفًا حتى وجد السبيل إلى ذلك، وهو ما أجرى على ألسنة إخوته أن جزاء السارق الاسترقاق، فأقروا به، وكان ذلك مراده وهو معنى قوله: ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾، فكان ذلك بمشيئة الله»[(١)].

والحاصل أن الله تعالى: «كاد له أحسن الكيد وألطفه وأعدله، بأن جمع بينه وبين أخيه، وأخرجه من أيدي إخوته بغير اختيارهم، وكاد له عوض كيد المرأة بأن أخرجه من ضيق السجن إلى فضاء الملك، ومكنه في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، وكاد له في تصديق اللاتي كذّبنه وراودنه حتى شهدن ببراءته وعفته، وكاد له في تكذيب امرأة العزيز لنفسها، واعترافها بأنها هي التي راودته، وأنه من الصادقين، فهذه عاقبة من صبر على كيد الكائد له بغيًا وعدوانًا»[(٢)].

٦. أن الله تبارك وتعالى حقق ليوسف عليه السلام تأويل رؤياه على أحسن الوجوه وأتمها فأقر الله عينيه بأبويه وإخوته حين دخلوا عليه مصر آمنين، وخروا له سُجَّدًا، وهو في حال التمكن من البر بهم والإحسان إليهم والتوسعة عليهم، مما يزيده بهجةً وسرورًا وسعادةً، إذ كان في حال الرياسة والملك ورغد العيش، ووفرة المال، وهم في غاية التوقير والإجلال والاحترام له.

المطلب الأول: حسن عاقبته في الآخرة

لا ريب أن الله -سبحانه- يجزي المحسنين بإحسانهم، ولا يضيع أجر من أحسن عملًا، كما قال سبحانه: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وقال -جل ثناؤه-: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

ويوسف عليه السلام قد منّ الله عليه بالإحسان، والاستقامة عليه، وملازمته في كل أحواله في السراء والضراء عمومًا، وفي حال الضيق والحبس وحال الرياسة والملك خصوصًا، ومع

(١) البسيط، للواحدي (١٢/ ١٩١).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (٣/ ١٧١).

جميع الفتن التي ابتلي بها، وجميع المكاره التي أصابته، فتراه في الضراء صابرًا محتسبًا، والسراء مثنيًا على ربه شاكرًا لا يقول إلا التي هي أحسن، فنال بذلك درجة الصابرين والشاكرين، وتحققت له الزلفى عند الله.

ولهذا لما ذكر الله تعالى جزاءه الدنيوي قرنه بجزائه الأخروي فقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يوسف: ٥٦ – ٥٧]. فقوله: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ عام في كل مؤمن، ويدخل فيه يوسف عليه السلام دخولًا أوَّليًا إذ هو المذكور في السياق.

فأخبر سبحانه أن جزاء الآخرة أعظم وأجل مما تحقق له في الدنيا من التمكين في الأرض والجاه والثروة والملك؛ لأنه خير وأكثر، ودائم لا ينقطع كما قال تعالى: ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلى: ١٧][(١)].

(١) انظر: تفسير الرازي (٩/ ١٦٧)، والقرطبي (١١/ ٣٩٠)، ومحاسن التأويل، للقاسمي (٩/ ٣٥٦١).

الخاتمة
وفيها أهم النتائج والتوصيات

بعد هذه التأملات والدراسة -بحمد الله وتوفيقه- لهذه المفردة «**المحسنين**» في سورة يوسف نقف على شيء من نتائج هذه الدراسة باختصار وذلك كما يلي:

١. كرم نفوس الأنبياء ونبل أخلاقهم، وشريف خصالهم، وكريم سجاياهم وتعاليهم عن سفاسف الأمور ومساوئ الأخلاق.

٢. ظهر لنا سر اصطفاء الله لهم، وتشريفهم بحمل شريعته، وتبليغ رسالاته وصدق الله إذ يقول وهو الحق وقوله الحق: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

٣. أن الرائد لهم هو صلاح حالهم وتحقيق مصلحة الآخرين من غير نظر إلى حظوظ النفس وحقوقها، حيث عبر يوسف عليه السلام الرؤيا من غير قيد ولاشرط، وكذلك حال نبينا ﷺ: «ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله...»[(١)]، ومن تبيّن ذلك فإنه لا يملك إلا أن يتمثل أمر الله تعالى حيث يقول: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾ [النمل: ٥٩].

٤. أن من يرى يوسف عليه السلام يتقلب في صنوف المحن، وضروب الفتن، وشتى ألوان الأذى وهو مع ذلك على حالة واحدة ثابتة لا يتبدل ولا يتغير بل ويكون في أعلى الدرجات، وأسمى المقامات، ولا يظهر له في هذه القصة ولو في موطن واحد أنه سعى لمقابلة الإساءة بالإساءة، أو انتقم لنفسه في شيء مما وقع له من الكيد المتعدد الصنوف والألوان، وإنما لازم الإحسان في كل الأحوال ولا يَرِد إلا ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢]، و﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف:٣٦]، كما تقدم فإنه يشعر أن حب هؤلاء المصطفين الأخيار يتملك قلبه، وأن إكبارهم وإجلالهم وتوقيرهم واحترامهم يستولي على مشاعره، وأن التطلّع

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ «**يسروا ولا تعسروا**»، (٨/ ٣٠)، رقم (٦١٢٦)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، (٤/ ١٨١٣)، رقم (٢٣٢٧).

إلى التأسي بهم يكون رائده، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠]، وما أكبرها من فائدة، وما أمتع وأنفع تدبر كتاب الله وأبلغ أثره على النفوس، فلعل الله -تعالى- بمحبة عبده لهم أن يحشره معهم كما قال ﷺ: «**المرء مع من أحب**»(١).

٥. حسن عاقبة المخلصين لله رب العالمين في عقيدتهم وأعمالهم وجميع أحوالهم، وأن الله يتولاهم وهو نعم المولى ونعم النصير، وكفى به وليًّا وكفى به نصيرًا، وقد تكفل جل ثناؤه لهم بالتمكين والرفعة والسؤدد وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة كما وقع ليوسف عليه السلام ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

٦. براءة يوسف عليه السلام ونزاهته مما نسب إليه؛ لأن دلالة القرآن صريحة في رد ذلك وبطلانه.

٧. أن تدبر معاني القرآن والتأمل فيها يورث علمًا عزيزًا نافعًا، ويأخذ بمجامع القلب إلى الروح الإيمانية العالية، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «من أراد العلم فليثوِّر القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين»(٢).

٨. أن من عُني بالقرآن وتفهَّمه، رزقه الله محبته والإقبال عليه، وذلك من أعظم المنن على العبد، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «من أحب القرآن فليبشر»(٣).

٩. وجوب إحسان الظن بالله عز وجل فإن هذا الابتلاء الذي وقع ليوسف وتعددت صنوفه وألوانه فإنه كان له لا عليه، فعلى من عقل عن الله أمره أن لا يستبطئ فرج الله وتنفيسه، وأن لا يتّهمه في قضائه، وكم من المحن التي انطوت على منح كثيرة والإنسان قد ضاق بها ذرعًا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب علامة حب الله عز وجل، (٨/ ٣٩)، رقم (٦١٦٩)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، (٤/ ٢٠٣٤)، رقم (٢٦٤٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ١٤٦)، رقم (٨٦٦٥)، وذكره الهيثمي في المجمع (٧/ ١٦٨) وقال: «رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح».

(٣) أخرجه الدارمي في سننه عن ابن مسعود رضي الله عنه (٤/ ٢٠٩٣)، وقال المحقق: «إسناده صحيح».

﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء:١٩]، ولطف الله لا حدود له، وتدبر حال يوسف عليه السلام في هذه القصة وما وقع له فيها من الأحداث والألطاف من اللطيف الخبير ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

١٠. أن من أعظم وسائل تحقيق إحسان الظن بالله عز وجل تدبر كتاب الله، والنظر فيما نال أولياءه من البلاء وما تحقق لهم به من الرفعة والسؤدد والنعماء، نسأل الله أن يرزقنا صدق التوكل عليه وحسن الظن به بفضله وكرمه.

ومما تجدر التوصية به أن يعنى المسلم بدراسة المفردات القرآنية المتعلقة بموضوع واحد على حدة ليخرج بفهم ثاقب لدلالتها، ومعرفة سياق كل واحدة منها ليتمكن من بناء وحدة موضوعية على أسس قرآنية متينة. وأن يعيد النظر فيها بين الحين والآخر، وعليه أن يرغب إلى الله في ألا يحرمه الفهم في كتابه عسى أن يخرج باستنباطات، وهدايات واسعة ينتفع بها والمسلمين. ونسأل الله أن يوفقنا لما فيه صلاح الحال والمآل برحمته وهو أرحم الراحمين.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قائمة المصادر والمراجع

١. **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، خرج أحاديثه وعلق عليه: خالد عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

٢. **إرواء الغليل**، الألباني، محمد ناصر الدين، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢ ، ١٤٠٥هـ.

٣. **أساس البلاغة**، الزمخشري، محمود بن عمر القاسم جار الله، ت:محمد باسل السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٤. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، ط١ ، ١٤٠٣ هـ.

٥. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، ابن القيم، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ١٤١١ هـ.

٦. **بحر العلوم**، السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، تحقيق: علي معوض، وعادل عبدالموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ.

٧. **البحر المحيط**، أبو حيان، محمد بن يوسف، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

٨. **بدائع التفسير – الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية –**، السيد، يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١٤هـ.

٩. **بدائع الفوائد**، ابن القيم، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، دار عالم الفوائد ، ط٢، عام ١٤٢٧هـ.

١٠. **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة**، القاضي، عبدالفتاح، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠١ هـ.

١١. **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**، البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٥هـ.

١٢. **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، محمد الطاهر، الدار التونسية للنشر، عام ١٩٨٤م.

١٣. **تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي**، المباركفوري، أبو العلي محمد بن عبدالرحمن، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢.

١٤. **التفسير البسيط**، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد، تحقيق: د. محمد بن صالح بن عبدالله الفوزان وزملائه، جامعة الإمام، الرياض، ١٤٣٠هـ.

١٥. **تفسير القرآن**، ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد، تحقيق:أسعد الطيب ، مكتبة مصطفى نزار الباز، مكة المكرمة ، ط١، ١٤١٧هـ.

١٦. **تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل**، النسفي، عبدالله بن أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٧. **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تحقيق : سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، الإصدار الثاني، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٨. **تفسير القرآن**، الصنعاني، عبد الرزاق ابن همام، تحقيق: د. مصطفى مسلم أحمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

١٩. **التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)**، الرازي، محمد بن عمر، دار الفكر، بيروت، ط٢ ، عام ١٤٠٣هـ.

٢٠. **تفسير شيخ الإسلام**، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، جمعه وحققه : إياد عبداللطيف القيسي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١ ، ١٤٣٢ هـ.

٢١. **تهذيب اللغة**، الأزهري، أبو منصور الأزهري، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٢٢. **تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان**، السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، دار المدني بجدة، ١٤٠٨هـ.

٢٣. **جامع البيان عن تأويل القرآن**، ابن جرير، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق : د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط١، القاهرة، ١٤٢٢هـ.

٢٤. **جامع المسائل**، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، المجموعة الأولى، تحقيق: محمد عزير شمس، إشراف: بكر بن عبدالله أبوزيد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٥. **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، تحقيق: د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ.

٢٦. **درج الدرر في تفسير الآي والسور**، الجرجاني، عبدالقاهر بن عبدالرحمن، تحقيق: وليد الحسين، إياد القيسي، ط١، ١٤٢٩هـ.

٢٧. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، عام ١٤٠٥هـ.

٢٨. **زاد المسير في علم التفسير**، ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن ابن عمر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٢٩. **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، عام ١٤٠٥هـ.

٣٠. **سنن أبي داود**، السجستاني، سليمان بن الأشعث، مراجعة: محمد محيى الدين عبدالحميد، المكتبة الإسلامية، استانبول.

٣١. **السنن الكبرى**، البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، دار المعرفة، بيروت.

٣٢. **سنن الترمذي (الجامع الصحيح)**، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٣. **سنن الدارقطني**، الدار قطني، علي بن عمر، عني بتصحيحه: عبدالله هاشم يماني المدني، دار المحاسن للطباعة، القاهرة.

٣٤. **سنن الدارمي**، السمرقندي، عبدالله الدارمي، تحقيق: فؤاد زمرلي، وخالد السبع، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١ ، ١٤٠٧هـ.

٣٥. **شرح السنة**، البغوي، الحسين بن مسعود، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢ ، ١٤٠٣هـ.

٣٦. **شرح صحيح مسلم**، النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، تحقيق: لجنة من العلماء، دار القلم، بيروت،ط١، عام ١٤٠٧هـ.

٣٧. **الصحاح**، الجوهري، إسماعيل بن حماد، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣ ، عام ١٤٠٤هـ.

٣٨. **صحيح البخاري**، البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، ضبط وترقيم: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، دمشق، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٣٩. **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، الألباني، محمد ناصر الدين، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٤٠. **صحيح سنن أبي داود**، الألباني، محمد ناصر الدين، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٤١. **صحيح سنن الترمذي**، الألباني، محمد ناصر الدين، مكتب التربية لدول الخليج العربي، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

٤٢. **صحيح مسلم**، النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، استانبول، ط٥، ١٤٠٧هـ.

٤٣. **الغاية في القراءات العشر**، النيسابوري، أبو بكر أحمد بن الحسين، تحقيق: محمد غياث الجنباز، ط١، ١٤٠٥هـ.

٤٤. **الفائق في غريب الحديث**، الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، تحقيق: علي بن محمد البجاوي،

ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط٢.
٤٥. **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**، جمع وترتيب: أحمد بن عبدالرزاق الدرويش، الرياض، ط٥، ١٤٢٧هـ.
٤٦. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، العسقلاني، أحمد بن علي ابن حجر، المطبعة السلفية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٠هـ.
٤٧. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، الشوكاني، محمد بن علي، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، ط١، ١٤١٣هـ.
٤٨. **الفوائد**، ابن القيم، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، تحقيق: محمد عزير شمس، إشراف: بكر بن عبدالله أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٩هـ.
٤٩. **القاموس المحيط**، الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط٢، ١٤٠٧هـ.
٥٠. **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، الزمخشري، محمود بن عمر، دار المعرفة، بيروت.
٥١. **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها**، القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب، تحقيق: د.محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ.
٥٢. **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، الثعلبي، أحمد بن محمد، تحقيق: محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
٥٣. **لسان العرب**، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، دار الفكر ودار صادر، بيروت.
٥٤. **المبسوط في القراءات العشر**، الأصبهاني، أبو بكر، أحمد بن الحسين، تحقيق:سبيع حمزة حاكمي، دار القبلة، جدة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط٢، عام ١٤٠٨هـ.
٥٥. **المجالسة وجواهر العلم**، الدينوري، أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد، خرج أحاديثه ووثق نصوصه وعلق عليه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
٥٦. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ.
٥٧. **محاسن التأويل**، القاسمي، محمد جمال الدين، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
٥٨. **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، ابن جني، أبو الفتح عثمان، تحقيق: علي النجدي ناصف، د. عبدالحليم النجار، د. عبدالفتاح إسماعيل شبلي، دار سزكين، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٥٩. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

٦٠. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ.

٦١. **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم، أبو عبدالله النيسابوري، دار المعرفة، بيروت.

٦٢. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

٦٣. **معالم التنزيل**، البغوي، الحسين بن مسعود، تحقيق: محمد بن عبدالله النمر وشركائه، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤١٤هـ.

٦٤. **معاني القرآن وإعرابه**، الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، تحقيق: د. عبدالجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٦٥. **المعجم الأوسط**، الطبراني، سليمان بن أحمد، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ.

٦٦. **المعجم الكبير**، الطبراني، سليمان بن أحمد، تحقيق:حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، ط٢.

٦٧. **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية، استانبول.

٦٨. **المفردات في غريب القرآن**، الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق:محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الأخيرة، ١٣٨١هـ.

٦٩. **مقاييس اللغة**، ابن فارس، أبو الحسين أحمد، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٧٠. **المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء**، الأنصاري، أبو يحيى زكريا بن محمد، دار المصحف، دمشق، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٧١. **المكتفى في الوقف والابتدا في كتاب الله ﷻ**، الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي، دراسة وتحقيق: د. يوسف عبدالرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ.

٧٢. **منار الهدى في بيان الوقف والابتداء**، الأشموني، أحمد بن محمد بن عبد الكريم، دار المصحف، دمشق، ١٤٠٣هـ.

٧٣. **الموطأ**، مالك بن أنس، تصحيح، وترقيم، وتخريج، وتعليق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	٧١
المقدمة	٧٢
التمهيد	٧٦
المبحث الأول: وجوه إحسان يوسف عليه السلام	٧٩
الوجه الأول: إحسانه في توحيده وإخلاصه لرب العالمين	٧٩
الوجه الثاني: إحسانه في صبره وثباته	٨٢
المطلب الأول: صبره وثباته في فتنة التعذيب	٨٢
المطلب الثاني: صبره وثباته في فتنة الشهوات	٨٤
المطلب الثالث: صبره وثباته في فتنة العلم	٨٥
المطلب الرابع: صبره وثباته في فتنة الرياسة والملك	٨٦
الوجه الثالث: تعامله وحسن خلقه	٨٨
المطلب الأول: تجنبه المواجهة بالسوء	٨٨
المطلب الثاني: مقابلة الإحسان بالإحسان	٩١
المطلب الثالث: صفحه الجميل	٩٢
المطلب الرابع: كمال نصحه	٩٧
الوجه الرابع: شكره لربه تبارك وتعالى	١٠٢
الوجه الخامس: بره وصلته	١٠٥
الوجه السادس: دعاؤه ومناجاته	١٠٨
المبحث الثاني: ثمرة إحسان يوسف عليه السلام، وحسن عاقبته في الدنيا والآخرة	١١١
المطلب الأول: حسن عاقبته في الدنيا	١١١
المطلب الثاني: حسن عاقبته في الآخرة	١١٤
الخاتمة	١١٦
فهرس المصادر والمراجع	١١٩
فهرس الموضوعات	١٢٤